الرحلات الاسترالية :

في غرب استراليا

محمد بن ناصر العبودي

الرحلات الأسترالية:

في غرب أستراليا

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies
https://dawa.center

ⓒ محمد بن ناصر العبودي، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العبودي، محمد ناصر
في غرب استراليا./ محمد ناصر العبودي - الرياض،
١٤٢٨هـ

...ص ، ...سم
ردمك : ٨-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨

رقم الإيداع : ٧٦٤١ / ١٤٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) علـــى ضـــفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) فـــي بـــلاد المســـلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقـــية الحديـــث عـــن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(١٩) جولـــة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهوريـــة أذربـــيجان- طـــبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بيـــن الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهورية الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض،١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٧١) قريـنادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياضن عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحدث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلغان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيلـيز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهورية الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العـودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (علـى سـقف العـالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسـلام والمسـلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بـلاد العربـية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتـبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكـريات مـن خلـف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتـي مـن السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشـرقين رحلـة حـول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامـه بجـنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى.

(٩٢) رحلـة هونـغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس بالرياض، عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنابوكو وريوقراندي دي نورتي وبارابيبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية)، طبع في مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٩) نظرات في شمال الهند (مجلدان) طبع في مطابع النرجس بالرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي (من الرحلات الإفريقية)، طبع في مطابع النرجس بالرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠١) القلم وما أوتي في جيبوتي، مطابع النرجس بالرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٢) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا، مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(١٠٣) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء، مطابع العلا في الرياض، عام١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(١٠٤) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) هو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(١٠٥) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)- نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٠٦) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٧) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٨) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٠٩) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١١٠) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١١١) سوانح أدبية- طبع في مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١١٢) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١١٣) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١١٤) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٥) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٦) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١١٧) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١١٨) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١١٩) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٢٠) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٢١) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٢٢) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(١٢٣) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحبا لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٢٤) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(١٢٥) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٢٦) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٢٧) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٢٨) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٢٩) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٣٠) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح ابن عبدالله العبودي.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمـــا بعـــد، فـــإن هذا هو الكتاب الثاني من الكتب التي ألفتها في جولة واســـعة لنا في قارة أستراليا، وهو بعنوان (غرب أستراليا)، وأما الأول فإنه عن شمال أستراليا.

وكنت قدمت للكتاب الأول بمقدمة تضمنت معلومات عن القارة بعامة، وعن أحوال المسلمين خاصة.

ولذلـــك لم أر ضرورة لإعادتها في هذا الكتاب، غير أنني وجدت في المجلس الإسلامي لغرب أستراليا دراسة عن المسلمين في هذه الولاية الغربية الواســـعة التـــي يكفـــي لكي تتصور سعتها أن تعرف أنها أوسع من المملكة العربـــية الســـعودية مســـاحة، ومع ذلك لا يزيد عدد السكان فيها حسب آخر إحصاء رسمي حكومي عن مليون و٧٠٠ ألف نسمة.

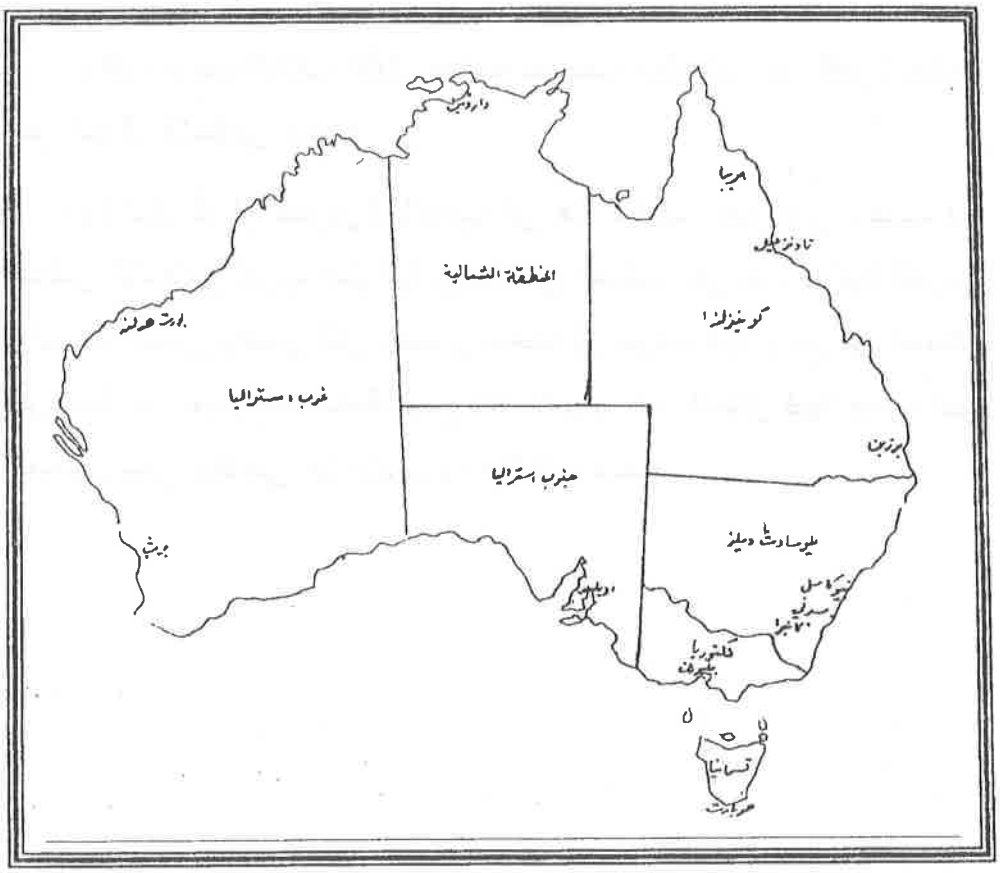

قارة أستراليا

وقد رأيت أن أورد ملخصاً لذلك التقرير الذي أعده المجلس الإسلامي لغرب استراليا.

قال التقرير:

لمحة عن أستراليا:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد، فإن أستراليا هي قارة قائمة بنفسها تقع بين المحيط الهادئ شرقاً، والمحيط الهندي غرباً، وبين آسيا شمالاً والقطب الجنوبي جنوباً، وهي تتكون من ثماني ولايات بما فيها مقاطعتان، وهي: نيو ساوث ويلز، وفكتوريا، ومقاطعة العاصمة الأسترالية، وتاسمانيا، وكوينزلند، والمقاطعة الشمالية (الإقليم الشمالي)، وجنوب أستراليا، وغرب أستراليا. ولها كذلك بعض الجزر في المحيط الهندي والمحيط الهادئ.

وأما غرب أستراليا فهي أكبر الولايات على الإطلاق ومساحتها ٢,٥٢٥,٥٠٠ كيلومتر مربع وذلك يمثل ثلث قارة أستراليا كلها، ومع ذلك لا يبلغ عدد سكانها إلا نحو ١,٧ مليون نسمة، وذلك حسب الإحصاء الرسمي سنة ١٩٩٦م.

تاريخ دخول المسلمين إلى أستراليا:

لقد وصل المسلمون إلى القارة لأول مرة في القرن السادس عشر الميلادي وهم صيادو السمك من ما كاسر في إندونيسيا، وذلك قبل مجيء الأوروبيين. كانوا يعيشون ويتعاملون مع السكان الأصليين القدماء (Aborigines) في سواحل القارة الشمالية.

فأما أول من اكتشف القارة من الأوروبيين فهم الهولنديون تحت قيادة القائد الهولندي ديرك هارتوغ (Dirk Hartog) وذلك في سنة ١٦١٦م حيث قصدوا السفر بالسفينة إلى جاوة (إندونيسيا) ولكن اتجهوا إلى جهة مختلفة فوصلوا صدفة إلى شاطئ القارة الغربي، ثم في سنة ١٦٢٧م صادف ربان هولندي آخر شاطئها الجنوبي، ومع ذلك لم تجذبهم إلى احتلالها.

والذي اكتشف جزيرة تسمانيا سنة ١٦٤٢م كذلك هولندي يقال له هابل تسمان (Abel Tasman).

ثم في سنة ١٧٧٠م جاء الربان البريطاني جيمس كوك (James Cook) من إنكترا واكتشف الشاطئ الشرقي من القارة. فأرسل جيمس كوك التقرير عن اكتشافاته إلى حكومته، فصممت الحكومة البريطانية على احتلالها، فأرسلت أول أسطول يتكون من إحدى عشرة سفينة مشحونة بالمدانين المحكومين في إنكلترا بالنقل إلى أستراليا التي معناها الأرض الجنوبية حيث لم يكن لهم مفر منها لأنها على بعد ٢٤,٠٠٠ كيلومتر من بلادهم، ووصلوا هناك في ٢٦ يناير ١٧٨٨م، واعتبر هذا التاريخ يوم تأسيس أستراليا كمستعمرة بريطانية جديدة يقال لها ويلز الجنوبية الجديدة (New South Wales)، المعروف اليوم بيوم أستراليا.

وبعد ذلك جاء المسلمون إلى أستراليا لأول مرة في سنة ١٨٦٠م، وهم ثلاثة جمالين جئ بهم من أفغانستان لصحبة الجمال التي استوردت لحملة بورك (Burke) وويلس (Wills) لاستكشاف مناطق أستراليا الداخلية التي تتكون من الصحراء ولم يكن هناك أي مركب يصلح لهذه الحملة إلا الجمال. وكان وصول هؤلاء الجماليين ابتداءً لدخول الإسلام إلى أستراليا رسمياً، ثم في سنة ١٨٦٥م استورد الرعاوي ثوماس ألدرس (Thomas Elders) بجنوب أستراليا ١٢٤ بعيرا مختلفة الأنواع من أفغانستان والهند للاستيلاد، وجاء معها ٣١ جمّالاً أفغانياً، ووصلت الباخرة التي تحملهم وتلك الإبل إلى أستراليا في أول يناير ١٨٦٦م.

وكان الأفغان يعملون بنقل البريد والزاد والبضائع عبر الصحراء إلى مناطق أستراليا الخلفية (Outback). وكان كل واحد منهم مكلفاً برعاية ٨٠ بعيراً.

وتزايد عدد المسلمين الأفغان في أستراليا بعد اكتشاف الذهب في غرب أستراليا في سنة ١٨٨٠م، وكانت السلطة جاءت بمجموعة أخرى من الجمالين، مع جمَالهم من أفغانستان تستخدمهم لنقل البضائع إلى المناطق المعدنية على ظهور الجمال. وكانوا يعملون في حقول الذهب بكالغورلي (Kalgoorlie)،

وفـــي مـــدن الميناء مـــثل ألبانـــي (Albany)، وفريمانتـــل (Fremantle)، جرالدتون (Geraldton)، وبورت هدلاند (Port Hadland).

وقـيل إن هـؤلاء الجمالين، بجانب قيادة الإبل كانت لهم رغبة واحدة وهي الرغـبة فـي توفير الأموال من رواتبهم لبناء مسجد. وقيل إنهم منذ تواجدهم في أسـتراليا قـد بـنوا أكثر من عشرين مسجداً أكثرها مساجد صغيرة ومعظمها في المناطق الريفية والصحراوية التي تسمى قرى الأفغان (Afghantowns).

وكانـت مبانـي هذه المساجد الريفية ساذجة جداً، وكانت جدرانها من الطين، ولكن مع الأسف لم يبق من تلك المساجد الريفية اليوم إلا مسجد واحد فقـط وهـو مسـجد بروكن هيل (Broken Hill) الذي تم تجديد بنائه في سنة ١٨٩١م، ولكن لعدم وجود السكان المسلمين في تلك المنطقة منذ فترة طويلة، قـد حولـت الحكومـة المسجد إلى متحف وأصبح الآن مزاراً للسياح، وتقع بروكن هيل في الحدود بين نيو سوث ويلز وجنوب أستراليا.

وأمـا أول مسـجد مدني بناه الأفغان فهو مسجد أدلايد (Adelaide Mosque) بجـنوب أستراليا، الذي بني بين سنة ١٨٨٨م وسنة ١٨٩٠م بأموال مجموعة من تـبرعات الأفغان أنفسهم. وكان هذا المسجد الوحيد في مدينة أدلايد إلى الثمانينات، ولا يـزال مستعملاً عامراً إلى اليوم، وأما المسجد المدني الثاني الذي بناه الأفغان ولا يزال مستعملاً وعامراً إلى اليوم فهو مسجد برث (Berth Mosque) الذي وضع حجـر أساسـه فـي سـنة ١٩٠٥م في (١٥ رمضان سنة ١٣٢٣هجرية)، وتمت المـرحلة الأولـى للبـناء فـي سنة ١٩٠٦م، وكان المسجد حينذاك معروفاً باسم المسـجد المحمـدي، وذلك لأن المجتمع الأفغاني كانوا يقال لهم المجتمع المحمدي وهـو اسم مغلوط يطلق على المجتمع الإسلامي، وعلى كل حال كان اسم المسجد الرسمي إلى اليوم "مسجد برث" (Perth Mosque).

وكان المسجد المدني الثالث الذي بـناه الأفغان هـو مسجد بزربن (Brisbane Mosque) بهولـند بارك (Holland Park)- كوينزلد (Queensland)، غير أن مبناه القديم

قد هدم وبني مكانه مبنى جديد، ولا يزال مستعملاً وعامراً إلى اليوم.

١- مـــن هـــنا تبين أن للمسلمين مساهمة مهمة في تنمية أستراليا وتعميرها منذ العهـــد الأول، ولذكر مساهمتهم النفسية في مجال النقل والمواصلات سمي القطـــار الذي يجري إلى الوقت الحاضر بين أديلايـــد (Adelaide) وأودنادتا (Oodnadatta) بجنوب أستراليا "The Ghan" (الغان) مقطعاً من لفظ " Afghan Train" (قطار الأفغان).

وأمـــا أســـباط الجماليـــن الأفغان فمعظمهم لزواجهم من النساء المحليات قد تركوا دين آبائهم وبعضهم انتقل إلى المناطق الأخرى، والآن لا يزال يوجد بعض أسباط الجمالين الأفغان في آليس سبرينغ (Alice Spring) في وسط أستراليا.

عدد المسلمين في أستراليا حالياً

صار الإسلام في أستراليا ينتشر بسرعة، أسرع من انتشار الأديان الأخرى مثل البوذية والبهائية، وكثر الشباب الأسترالي الذين يرغبون في الإسلام، فأسلم منهم من أسلم لأسباب مختلفة؛ منهم من دخل في الإسلام من أجل الزواج ومنهم من أسلم لانجذابه بنظام الحياة في الإسلام والأزياء الإسلامية.

وعدد المسلمين في أستراليا حسب الإحصاء الرسمي الحكومي سنة ١٩٩٦م يزيد على ٢٥٠,٠٠٠ نسمة، وإن كان العدد في الواقع أكثر من ذلك، وربما يبلغ عددهم ٤٠٠,٠٠٠ نسمة (أكثر من اثنين في المائة)، وذلك لأن كثيراً من المسلمين لم يبينوا دينهم عند تعبئة استمارة الإحصاء لعدم فهمهم للسؤال، وسبب ذلك أولاً أنه لم يوجد في الاستمارة سؤال واضح عن الأديان، وإنما السؤال عن طوائف دينية مألوفة عند النصارى مثل كاثولوكية، وكنيسة موحدة، وأنجليكانية وغيرها، وأما أهل الأديان الأخرى فعليهم أن يكتبوا دينهم في الفراغ؛ وثانياً أن الجواب عن السؤال المذكور غير مفروض بل مخيّر.

وأما عدد المسلمين في غرب أستراليا فنحو ١٣,٠٠٠ نسمة حسب الإحصاء الرسمي الحكومي في نفس السنة وإن كان العدد في الواقع أكثر من ذلك، وربما يبلغ مجموع المسلمين في غرب أستراليا ما يزيد على ١٨,٠٠٠ نسمة أو بالنسبة المئوية كان عددهم أكثر من ١%.

وكان المسلمون في أستراليا يتكونون من ثلاث فئات:

١- المسلمون المقيمون إقامة مؤقتة: كموظفي البعثات السياسية والدولية والطلبة والعمال.
٢- المسلمون الأجانب الذين يقيمون إقامة دائمة كالتجار واللاجئين.
٣- المسلمون الأستراليون والمتجنسون.

ومن جهة القومية ينقسم المسلمون في أستراليا إلى القوميات الآتية:

١- العـــرب مـــن بـــلاد مختلفة: من لبنان ومن مصر، والأردن، وسوريا، وفلسطين والعراق (معظمهم اللاجئون) وغيرها.
٢- الأتراك معظمهم في فكتوريا (Victoria) ونيو سوث ويلز (New Suoth Wales) كما يوجد بعضهم في غرب أستراليا.
٣- الملايويـــون (Malays) مـــن كوكـــوس آيلند، ومن ماليزيا، وسنغافورة (معظمهـــم في غرب أستراليا مهاجرون من كريسماس آيلند) وإندونيسيا (ومعظمهـــم فـــي نـــيو سوث ويلز ومدينة داروين، وبعضهم في غرب أستراليا كما يوجدون في الولايات الأخرى).
٤- الأفريقيون: من جنوب أفريقيا، والحبشة، والصومال وغيرهما.
٥- الأفغان: معظمهم اللاجئون إلى أستراليا خلال الحرب ضد الاتحاد السوفيتي.
٦- الباكستانيون والهنود: من الهند وجزيرة فيجي.
٧- البوسنيون والألبانيون (سابقاً يوغسلافيون): بعضهم لاجئون.
٨- الأستراليون وهم قلة.
٩- بعض القوميات الأخرى.

التنظيم الإسلامي في أستراليا

وجـــد التنظيم الإسلامي الشامل في أستراليا منذ أكثر من عشرين سنة، وإن كـــان قبل ذلك قد وجدت مؤسسات إسلامية، ولكن ليس لها تنظيم شامل. وكان الاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية الذي أسس في سنة ١٩٧٢ميلادية أكـــبر المنظمات الإسلامية في أستراليا، وهو الذي يمثل الجماعات الإسلامية فـــي المســـتوى الفيدرالي، وأعضاؤه هي المجالس الإسلامية بكل ولاية من الولايات الأسترالية بما في ذلك المجلس الإسلامي لغرب أستراليا، ولكل من هذه المجالس الإسلامية أعضاء تتكون من الجمعيات الإسلامية الصغرى التي أعضاؤها الأفراد المسلمون المحليون في كل مكان أو منطقة.

التنظيم الإسلامي في غرب استراليا

أ- هيئة الأمناء لمسجد برث (Perth):

إن أقدم المؤسسات الإسلامية في غرب أستراليا هي هيئة الأمناء لمسجد برث (Perth Mosque) التي أسسها الأفغان في سنة ١٩٠٥م، وهي التي أسست المسجد نفسه الذي تم بناؤه في سنة ١٩٠٦م، وهو أقدم مسجد في غرب أستراليا، وهذه الهيئة لا تزال توجد إلى اليوم، وهي التي تقوم على مسجد برث، ولكن لم تنضم هذه الهيئة إلى الاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية في سدني، كما لم تنضم إلى المجلس الإسلامي لغرب أستراليا، بل تقوم مستقلة بنفسها، وسبب ذلك أن الأمناء الذين يقومون بتنفيذ أمور المسجد حالياً يعتبرون الاتحاد والمجلس من أندادهم السياسية.

وكان مسجد برث أغنى المساجد في غرب أستراليا مالياً، فإن له شققاً سكنية مستأجرة كما كان له دخل آخر من رسوم الإشراف والشهادة على اللحوم الحلال، ولكن لا يعرف أحد الوضع المالي للمسجد على وجه التحديد.

وليس لهذا المسجد أنشطة كثيرة إلا الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، والمناسبات، والمسجد لا يكون مليئاً إلا أيام الجمعة وأيام العيد فقط.

وفي آخر الأسبوع تنعقد هناك بضع حلقات أقامها أعضاء المجتمع الإسلامي، مثل حلقة درس فقه السنة، وحلقة اجتماع لجماعة التبليغ، وحلقة القرآن، وعلى كل حال كانت هيئة المسجد الآن قد شرعت في عمل مشروع توسعة المسجد، لأن مساحة المسجد الحالية لا تكفي لتزايد عدد المصلين في أيام الجمعة.

ب_ المجلس الإسلامي لغرب أستراليا:

بجانب ذلك- كما تقدم- يوجد في غرب أستراليا منظمة أخرى عضو للاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية وهي المجلس الإسلامي لغرب أستراليا (Islamic Council of Western Australia) الذي أسس في سنة ١٩٧٣م، حينئذ لم يكن يوجد في مدينة برث (Perth) إلا مسجد واحد فقط وهو مسجد برث، مع أن

عـدد المسـلمين يتزايد، فشعر بعض المسلمين المهتمين بوضع المجتمع الإسلامي بحاجـة ماسة إلى تأسيس مجلس إسلامي يعمل على تأسيس مسجد ومركز إسلامي، فتأسـس المجلـس الإسـلامي فـي سـنة ١٩٧٥م، وذلك بعد تأسس جمعية برث الإسـلامية التـي كانت أول عضو للمجلس، كما سيأتي ذكرها بعد قليل، وفي سنة ١٩٧٥م نجـح المجلـس فـي شراء بيت في ضاحية ريفرفيل (Rivervale)، وجعله مركزاً إسلامياً، بأموال تلقاها من المملكة العربية السعودية.

و فـي الـبداية لقلـة عـدد المسلمين اتخذوا أحد البيوت مصلى أي مكاناً للصـلاة، ثم في سنة ١٩٨٠م أخذ كثير من المسلمين من كريسماس آيلند وكوكوس آيلـند يهاجرون إلى برث، والبيت لم يسع عدداً كبيراً من المصلين، فشرع المجلس فـي مشـروع تحويـل البيـت إلـى مسجد، وهو المسجد الثاني في برث، بأموال مجموعـة مـن تـبرعات المسـلمين المحليين، وذلك بهدم جدران الحجر الداخلية لتصـبح ردهـة واحدة تسع نحو ٢٥٠ مصلياً، وأضاف إلى ذلك شُرَفا حول البناء، فتسع مساحته أكثر من ثلاثمائة مصل.

ورئيس المجلس حاليا: الدكتور أمير على من سريلانكا، وسكرتيره آدم باركر من جنوب أفريقيا.

وللمجلس أعضاء من الجمعيات الإسلامية وهي:

١- **جمعـية بـرث الإسلامية** (Perth Muslim Association) التي أسست في سـنة ١٩٧٥م، وذلـك قـبل تأسـيس المجلس الإسلامي ذاته، فإن المجلس الإسـلامي أسس كمنظمة رئيسية للمحافظة على مصالح المسلمين في جميع غرب أستراليا، فأما جمعية برث الإسلامية فقد أسست للمحافظة على مصالح المسلمين في مدينة برث فقط، وأعضاؤها الأفراد المسلمون في برث.

٢- **جمعـية خدمـة المجـتمع** الإسـلامي (Muslim Community Service) التي أسسـت في سنة ١٩٧٦م، ومن أهداف هذه الجمعية تزويد المجتمع الإسلامي بالخدمات التي يحتاج إليها، وتأسيس المدرسة الإسلامية لتزويد أبناء المجتمع الإسلامي بالتربية الإسلامية.

وقـد أسست الجمعية مدرسة إسلامية يقال لها مدرسة المجتمع الإسلامي في سـنة ١٩٨٦م، وأجريت هذه المدرسة أولاً في المبنى المستأجر خلف مسجد برث كمدرسـة ابتدائية، ثم انتقلت إلى ثورنلي (Thornlie) وهي من ضواحي مدينة برث الجنوبـية فـي سنة ١٩٨٧م، بعد أن اشترت الجمعية مبنى مدرسة مسيحية سابقة بـأموال مجموعة من تبرعات المسلمين، بالإضافة إلى القرض الذي حصلت عليه مـن وزارة التربية لغرب أستراليا، وقد نمت المدرسة نمواً سريعاً وأصبحت الآن كلـية تسـمى الكلية الإسلامية الأسترالية وتتكون من المدرسة الابتدائية والمدرسة العالـية، بـل كـان لها الآن المقر الثاني في ديانلا (Dianella) وهي من ضواحي مدينة برث الشمالية، وتتكون كذلك من المدرسة الابتدائية والمدرسة العالية.

ومدير الكلية حالياً الأخ عبدالله مجر مصري الأصل وصارت الجمعية نشيطة أيضاً في مجال الدعوة الإسلامية لغير المسلمين.

وفـي هذه السنة أصبحت جمعية خدمات المجتمع الإسلامي مستقلة عن الكلية تقوم بنفسها، لأن الكلية كانت لها لجنتها الإدارية المستقلة التي أصبحت شبه الشركة الأهلية.

٣- **جمعـية كانيـنغ الإسلامية** (Islamic Association of Canning) التي أسسها الأتـراك فـي سـنة ١٩٨٣م، ومـن أهـداف هذه الجمعية في البداية بناء مسجد للأتـراك، فـإنهم كـانوا يصلون في مسجد ريفرفيل، ولكن لتزايد عدد المسلمين المهاجريـن مـن كريسماس آيلاند أصبح مسجد ريفرفيل ضيقاً، فاشترت الجمعية أرضاً في ضاحية كوينز بارك (Queens Park). وتم بناء المسجد في سنة ١٩٨٦م، وهو ثالث المساجد ببرث، وذلك بأموال مجموعة من المساعدة المالية من المجلس الإسلامي وتبرعات أعضاء الجمعية والمسلمين.

ومـن نشـاطات هذه الجميعة حلقات تعليم الأطفال في آخر الأسبوع، وحلقة المحاضرة مرة في الأسبوع، والمحاضرات في المناسبات المعينة.

٤- **جمعـية كريسـماس وكوكوس آيلنديين الإسلامية:** أسست هذه الجمعية في سـنة ١٩٨٣م، ومـن أهدافهـا بناء مسجد للمسلمين المهاجرين من كوكوس آيلند

وكريسماس آيلند، ومن أنشطة هذه الجمعية جمع التبرعات وتجهيز الجنائز.

٥- **جمعية نور الإسلام** (Noorul Islam Society) التي أسست في سنة ١٩٨٩ م، ومن أهم أهداف الجمعية شراء أرض لبناء مسجد للمسلمين المهاجرين من جنوب إفريقيا وسائر المسلمين عامة، وتأسيس مركز إسلامي للمسلمين القاطنين في ضواحي برث الشمالية، ومن أسباب تأسيس هذه الجمعية أن الهيئة الإسكانية للحكومة المحلية أعلنت أنها قد خصصت أرضاً في ضاحية ميرابوك (Mirrabooka) موقعاً لمكان العبادة أرادت بيعها لأي طائفة دينية ترغب فيها، فبادر بعض المسلمين المهتمين من جنوب إفريقيا بإعلان رغبتهم في شراء الأرض قبل الديانات الأخرى، فإن اليهود رغبوا كذلك في تلك الأرض، ولكن المسلمين سبقوهم، ثم لأن الأرض لم يمكن شراؤها إلا باسم جمعية، فاشتروا الأرض في نفس السنة بثمن قدره ١٥٠,٠٠٠ دولار أسترالي، ولم يدفع هذا المبلغ دفعة واحدة، بل بالتقسيط، وتم قضاء جميع المبلغ في ٣٠ سبتمبر ١٩٩٢م، وشرعوا في بناء المسجد في أوائل سنة ١٩٩٣م بأموال مجموعة من تبرعات الأعضاء والمسلمين المحليين، كما جمعوا تبرعات من خارج البلاد ولاسيما من سنغافورا وماليزيا والمملكة العربية السعودية، والحمد لله قد تم الآن بناء المسجد الذي يقال له (مسجد التقوى) الذي احتفل بافتتاحه الرسمي في يوم الأحد ٦ سبتمبر ١٩٩٨م، وإن كان المسجد قد استعمل للصلاة منذ أول رمضان ١٤١٧هجرية (١٩٩٧م).

ومن نشاطات هذه الجمعية الآن إقامة حلقات لتعليم أولاد المسلمين مبادئ الإسلام والعبادات، وحلقة درس اللغة العربية.

وفوق ذلك لتدبير أمور تجهيز الجنائز ودفنها أسست هذه الجمعية جمعية أخرى خاصة بذلك يقال لها : جمعية برث المدفنية (Perth Burial Society)، وتقوم هذه الجمعية بتدبير كل ما يتعلق بدفن موتى المسلمين من أخذ الجثة من المستشفى، وإعداد الوثائق الرسمية اللازمة وغسلها، وتكفينها، ودفنها، والحصول على شهادة الوفاة.

٦- **جمعية كاتانينغ الإسلامية:** (Islamic Association of Katanning) أسست في سنة ١٩٧٣م، ومن أهداف هذه الجمعية بناء وتأسيس مسجد ومركز إسلامي للمجتمع الإسلامي في مدينة كاتانينغ وهي على بعد ٢٨٠ كيلو متر جنوب برث تقريباً.

وبدأ المشروع بجمع التبرعات من أعضاء الجمعية، كل عائلة تدفع ١٠ دولارات كل أسبوع، حتى بلغ المجموع في سنة ١٩٨٣م ٢٠,٠٠٠ دولار، فاشترت الجمعية أرضاً واسعة نوعاً ما وشرعت في بناء المسجد، على أن المال المجموع قليل فتولت عمل البناء بالعمل المشترك بين أعضائها حتى تم بناء المسجد في سنة ١٩٨١م، وخلال البناء جاءت بعض التبرعات أيضاً من خارج البلاد، وسمي المسجد مسجد كاتانينغ (Katanning Mosque).

قد أعلن افتتاحه الرسمي تنغكو عبدالرحمن بوترا الحاج رئيس الوزراء الماليزي الأول.

وأما المسلمون في كاتانينغ فأصلهم من جزيرة كوكس أي كوكوس آيلند، وهم هاجروا إلى كاتانيغ للإشتغال في مجزرة اللحوم الحلال المصدَّرة إلى المملكة العربية السعودية وبلاد الخليج وسائر البلاد الإسلامية، وكان هذه المجزرة لشركة ميترو ميت (Metro Meet Pty Ltd)، وكانت كاتانينغ أول منطقة هاجر إليها كوكوس أيلانديون في غرب أستراليا.

ومن أنشطة هذه الجمعية الإشراف والشهادة على اللحوم الحلال، وإجراء المدرسة الإسلامية الأسبوعية في آخر الأسبوع لتعليم أبنائهم مبادئ الإسلام والعبادات.

٧- **الجمعية الإسلامية لشمال غربي أستراليا** (Islamic Association of North western Australia) أسست في سنة ١٩٨١م، ومن أهداف هذه الجمعية في البداية بناء مسجد ومركز إسلامي لمسلمي بورت هدلاند (Porth Hedland) الذين يتكونون حينذاك من ثلاث قوميات: معظمهم الملايويون من كريسماس آيلند وكوكوس آيلند، والعرب، والباكستانيون، ولكن الآن لم يبق هناك إلا

الملايويـــون فقط، وتم بناء المسجد في سنة ١٩٨٣م، ويقال له مسجد بورت هدلاند (Port Hedland Mosque).

وأمـــا تكلـــيف البـــناء فمجموع من تبرعات أعضاء الجمعية والمسلمين في غرب أستراليا وخارج البلاد، ومدينة بورت هدلاند هذه مدينة مينائية ومعدنية تبعد من برث نحو ١,٨٠٠ كيلومتر شمالاً.

وأما أنشطة الجمعية فمنها عمارة المسجد وإجراء المدرسة الدينية لتعليم أطفـــالهم مـــبادئ الإسلام والعقيدة والصلاة، وللمدرسة بناء خاص في ساحة المســـجد نفســـها تم بناؤه منذ بضع سنين، وتجري الدراسة يومياً حيث يتعلم الأطفال في المساء بعد رجوعهم من المدرسة الحكومية.

٨- **جمعـــية نـــيومان الإســـلامية** (Newman Muslim Association) أسســـت فـــي الثمانيـــنات، ولـــيس لهذه الجمعية أنشطة كثيرة إلا عمارة المسجد وإقامة حلقات لتعليم أبـــناء المســـلمين مـــبادئ الإســـلام والعبادات، وكانت نيومان مدينة معدنية على بعد ١,٢٠٠ كيلومـــتر شـــمال برث، وكان المسجد هناك في مبنى وهبته الشركة المعدنية للعمال المسلمين ليجعلوه مسجداً لهم، وأسس هذا المسجد في سنة ١٩٨٨م.

٩- **جمعـــية جرالدتون الإسلامية** (Islamic Association of Geraldton) أسست في آخـــر الثمانيـــنات، ومـــن أهـــداف هذه الجمعية بناء مسجد ومركز إسلامي للمســـلمين بجـــرالدتون، وقـــد تـــم بناء المسجد على أرض أعطتها الحكومة للمجـــتمع الإســـلامي بجـــرالدتون، وبني المسجد بأموال جمعت من تبرعات أعضاء الجمعية وسائر المسلمين في غرب أستراليا.

ومـــن أنشـــطة هـــذه الجمعية عمارة المسجد، وإقامة حلقة التعليم الإسلامي لتعلـــيم أبـــنائهم مبادئ الإسلام والعبادات، والإشراف على ذبح اللحوم الحلال في مجزر ميترو ميت (Metro meat Pty Ltd) بجرالدتون.

أنشطة المجلس الإسلامي لغرب أستراليا

أمـــا أنشـــطة المجلـــس الإســـلامي لغرب أستراليا كمنظمة للجمعيات الأعضاء التي تقدم ذكرها، فهي كما يلي:

١- إجـــراء المســـجد والمركـــز الإســـلامي بريفرفيل، وتعليم الإسلام للأطفال والكـــبار سواء كان في المركز أو خارجه، وإجراء عقد الزواج، والإشراف علـــى اللحوم الحلال الصالحة لاستهلاك المسلمين سواء كانت مصدّرة إلى خـــارج البلاد أو لاستهلاك المسلمين المحليين (ولهذا الهدف كانت للمجلس لجـــنة خاصـــة بشؤون اللحم الحلال)، والقيام ببعض الأعمال الإدارية في مكتب المركز الإسلامي.

٢- اجـــتماع شـــهري برؤساء الجمعيات الأعضاء لمناقشة حوائجها والمشاكل التي تواجههـــا والـــتعاون علـــى تنظـــيم نشاطات تهم المجتمع الإسلامي، مثل عقد حلقـــات المحاضـــرات لتربية المجتمع سواء كان بالإتيان بالعلماء والدعاة من الخارج أو العلماء والدعاة المحليين.

٣- تنظـــيم المخـــيمات للشباب الإسلامي بالتعاون مع الجمعيات الأعضاء وغير الأعضاء.

٤- إصدار رسائل إخبارية لأعضاء المجتمع.

٥- مراقـــبة وسائل الإعلام مثل الجرائد والمجلات وبرامج التلفزيون التي تهـــاجم الإسلام والمسلمين أو تعمل على تشويه صورة الإسلام للجواب عنها أو الاحتجاج عليها.

٦- إقامة الصلة بالحكومة نيابة عن جميع الجاليات الإسلامية.

ج - الجمعيات الأخرى:

وبالإضافة إلى المجلس الإسلامي لغرب أستراليا والجمعيات التي انضمت

إليه هناك جمعيات مستقلة أخرى، وهي كما يلي:

١- **جمعية وانرو الإسلامية** (Wanneroo Muslim Association):

أسست في أواخر الثمانينات وليس لها مقر أو مكتب دائم، لأنها الآن تعمل على بناء مسجد ومركز إسلامي، وقد كانت لها أرض حصلت عليها من الحكومة المحلية، ولها المشروع لذلك، ولكن لم تتوافر لها أموال كافية للبناء، وكان جميع أعضائها من الجالية الملايوية إلا رئيس لجنة البناء الحالي فهو من أصل أسترالي، وانرو (Wanneroo) من ضواحي مدينة برث الشمالية، ومن نشاطات هذه الجمعية الآن جمع التبرعات لمشروع بناء المسجد، وتنظيم حلقات المحاضرات لأعضائها في المناسبات المعينة، وحلقات لتعليم الإسلام لأبنائهم.

٢- **المركز التأييدي للنساء المسلمات** (Muslim Women Support Centre): أسس هذا المركز في أواخر الثمانينات، وليس له مقر أو مكتب دائم، ومن أنشطة المركز تزويد النساء المسلمات ولاسيما المسلمات الجديدات بالتأييد المعنوي والتربية الإسلامية بتنظيم حلقات التعليم والمحاضرات، ورئيستها الحالية: سميرة إلاهي من أصل مصري.

٣- **جمعية مدرسة الهداية الإسلامية** (Al-Hidayah Islamic School Association): أسست هذه الجمعية في ١٩٩٢م، ومن أهداف هذه الجمعية تأسيس مدرسة إسلامية وهي التي تسمى مدرسة الهداية الإسلامية وقد تم تاسيسها في سنة ١٩٩٤م، ومدرسة الهداية الإسلامية هي المدرسة الإسلامية الثانية في برث: غرب أستراليا وهي مدرسة ابتدائية مستقلة عن الكلية الإسلامية التي تقدم ذكرها. مديرها الحالي : عمر عبدالله من أصل أسترالي.

٤- **جمعية الركون الإسلامية** (Ar-Rukun Inc): أسست في سنة ١٩٩٥م، ومن أهداف هذه الجمعية بناء مسجد ومركز إسلامي في روكينغهام (Rockingham) وهي مدينة صغيرة على بعد ٥٠ كيلومتر جنوب برث، وقد تم بناء المسجد في أول ذي الحجة سنة ١٤١٨هجرية الموافق لسنة ١٩٩٨م، بني هذا المسجد على أرض

مستأجرة من الحكومة المحلية التي سمحت للجمعية أن تشتريها إن شاءت، لذلك كانت الجمعية الآن مشغولة بجمع الأموال لدفع ثمن الأرض.

ومن نشاطات الجمعية إجراء الحلقات لتعليم الإسلام للأطفال والكبار كل يوم سبت، وأما رئيس هذه الجمعية الحالي فهو محمد عمر فودن (Mohd Omer Foden) من أصل إنكليزي.

٥- **المركز الإسلامي لمايلاند** (Islamem Centre Mayland): ونشاطاته تجرى في بيت مستأجر أستأجرته جماعة أهل السنة والجماعة (السلفية) ليكون مركزاً إسلامياً حيث تقام صلاة الجمعة ، ومعظم أعضائه من الجالية الأريترية (الأثيوبية) والعربية، ومن أنشطة هذا المركز إقامة حلقات المحاضرات والمخيمات للشباب الإسلامي، ومسؤول المركز فهو الشيخ محمد الجمل أردني الأصل.

٦- **خدمة الإعلام والتربية الإسلامية الأسترالية** (Australian Muslim Information and Education Service)، ومن أنشطة هذه الخدمة تزويد غير المسلمين بالمعلومات عن الإسلام بواسطة النشرات والجرائد وتنظيم المناقشات المفتوحة عن الإسلام للمسلمين وغير المسلمين الراغبين في الإسلام.

٧- **جمعية المجتمع الإسلامي الأفغانية** (Afghan Islamic Community Association): أسست في سنة ١٩٩٨م، وهي جمعية جديدة ليس لها مقر أو مكتب بعد، ومن مسؤوليها: سعيد بادشا (Sayeed Padsha).

٨- **الجمعية الإسلامية الأندونيسية** (Indonesian Muslim Association) أسست في سنة ١٩٩٨م، وهي جمعية جديدة، ومن أهداف هذه الجمعية بناء مسجد ومركز إسلامي للجالية الإندونيسية خاصة وسائر الجاليات الإسلامية عامة.

أحوال المسلمين الاجتماعية

يسكن المسلمون في أستراليا عامة منتشرين بين السكان غير المسلمين، ومتباعدين فيما بينهم، إلا في مدن معينة مثل سيدني وملبورن، حيث يوجد في بعـــض ضواحيها تجمع كبير من المسلمين، وأما في سائر المدن فليس هناك حي يتجمع فيه السكان المسلمون.

ثـــم إن وجـــود الجمعيات الإسلامية المتعددة يدل على أن المسلمين في أستراليا ليس لهم الوحدة القوية فيما بينهم، ولاسيما فيما يتعلق بصيام رمضان والعيديـــن، وســـبب ذلك أن كل فئة من المسلمين لها إمامها وزعيمها، وليس هناك إمام أو زعيم عام يتبعه جميع المسلمين، لأن المسلمين في مدينة واحدة يخـــتلفون فـــي بدء صيام رمضان والتعييد إلى ثلاث فرق، والفرق بينها من يوميـــن إلى ثلاثة أيام، وذلك لأن العرب في هذا الشأن يتبعون البلاد العربية، والأتراك يتبعون تركيا، وبعض الإندونيسيين يتبعون إندونيسيا، والأحناف من باكســـتان والهـــند وفيجـــي وجنوب أفريقيا وأهل التبليغ يتبعون رؤية الهلال المحلية، ومن المسلمين من يتبعون الحساب الفلكي.

المشاهدات

من داروين إلى بروم:

ركبنا مع طائرة تابعة لشركة (انست استراليا) وهي شركة طيران داخلية مهمة، ركبت معها في عدة رحلات في سفراتي السابقة إلى أستراليا، وطائرتها من طراز لا أعرفه كتبوا اسمه باي (BAE)، وهي نفاثة تشبه البوينغ ٧٣٧ إلا أن لها أربعة محركات نفاثة وليس محركين.

ومن الملاحظات المهمة فيها أن المضيفة بادرت ركاب درجة رجال الأعمال التي ركبنا فيها لأنه ليست فيها (درجة أولى) بكأس من الماء البارد ليس معه غيره من عصير الفاكهة كما تفعل الطائرات الأخرى، وهذا يدل بطبيعة الحال على حرارة الجو مثلما نفعل في بلادنا في فصل الصيف في غير الطائرات، إلا أننا نقدم في الطائرات عصير الفاكهة واللبن بديلة من الماء.

ومن الملاحظات أن المضيفة ترتدي لباساً ساتراً لا يمت إلى اللباس الذي اعتدنا على أن نرى المضيفات يلبسنه بصلة، فهو سروال أو بنطلون طويل فوقه قميص طويل الأكمام، وهذا لباس محتشم جداً في هذه البلاد الأسترالية التي رأينا ألبسة النساء فيها قصيرة أكثر مما عليه الحال في أوروبا في الصيف.

وقد اجتهدت المضيفة أن تري الركاب كيفية استعمال سترة النجاة عند النزول الاضطراري في البحر، وذلك أن الرحلة سوف تكون على شاطئ البحر.

من داروين إلى كونونورا:

تبين لنا أن الطائرة لا تذهب مباشرة إلى (بروم) وأنها ستنزل في بلدة أخرى قبلها اسمها (كونونورا).

أقلعت في السادسة وأعلنت المضيفة أن الطيران إلى (كونونورا) سيستغرق نحو ساعة إلا خمس دقائق، وقد استمتعت برؤية داروين في النهار لأن قدومي إليها كان في الليل، فبدت خضراء إلا أن خضرتها غير كثيفة،

وكـــان أهم ما يميزها وهو الأمر الذي استمرت رؤيته من الطائرة تحتنا بعد ذلك حتى وصلنا (كونونوا) هو كثرة المستنقعات والمياه الراكدة من مياه البحر أو مياه الأمطار، وذلك ما جعل البلاد تكون فيها حمى الملاريا.

وبـــدت الطرق الطالعة من المدينة أو الذاهبة إليها جيدة وإن لم تكن في استقامة الطرق في بلادنا، لأن طرقنا حديثة لم تبخل حكومتنا بالمال من أجل أن تكون مستقيمة جيدة.

واســـتمر الطيران على شاطئ البحر المليء بهذه المياه التي تبدو كمياه المستنقعات وليس كشاطئ البحر عندنا يكون كالخط الظاهر المحدد في العادة في أكثر البحار وإن لم تكن فيها كلها.

ثـــم قدمـــوا طعاماً جيداً بعضه فيه سمك والآخر لم تعرفه المضيفة فتجنبناه لأننا لم نكن بحاجة إليه، ومن اللافت للنظر فيه قرون من الفاصوليا المفرطحة أي المنبسطة الواسعة جاءوا بها نية لم تطبخ بمثابة السلطة.

ولم يكن في المنظر تحت الطائرة جديد رغم طول مدة الطيران، بل هو مـــنظر الشـــاطئ المشعث إن صح التعبير. والأراضي حوله الحافلة بالشجر الطبيعـــي ولكن في غير كثافة حتى رأينا قرب الوصول إلى (كونونورا) نهراً واســـع المجرى ضحل المياه، موحل الضفاف كما بدا من الطائرة، وظنناه متجهاً إلى المدينة التي نقصدها غير أننا لم نره بقربها.

مطار كونونورا:

المؤلف عند مدخل مطار كونونورا في غرب أستراليا

تدنت الطائرة وهي تتدلى فوق أراضٍ ذات سهول مزروعة بزراعة حقلية تحف بها تلال ذات ظهور منسقة خالية من الزراعة، إلا أن فيها أشجاراً برية غير كثيفة، وبدت تربة المنطقة حمراء شديدة الاحمرار مثل الأراضي الاستوائية التي رأيتها في أنحاء عديدة من العالم، ومرقت من فوق النهر الذي اجتمعت مياهه حتى صار مجراه معتاداً ورأيت في شعاب منه طحلباً أخضر وأصفر كثيفاً ظاهراً من النظر إليه من الطائرة.

ثم هبطت في مطار (كونونورا) في السابعة إلا عشر دقائق، بعد طيران استغرق ساعة إلا عشر دقائق، وكانت الشمس تسقط في المغيب، وانتهزنا فرصة وجودنا في النور في هذا المطار فالتقطنا صوراً فيه لم يمانع أحد فيها، بل رأينا

بعـــض المســـافرين فعلوا مثل ذلك، فأهل البلاد كأهل البرازيل ليست عندهم حساسية لمثل هذه الأمور، لأن الحياة السياسية مستقرة فيها، والشعب لا يهتم كثيراً بالسياسة.

ورأيـــت الأعشـــاب قرب المدارج خضراء ولكنها ليست كثيفة، وبعدها مباشرة على حدود المطار حقول نبات عالٍ يشبه الذرة، وقصب السكر، وتطل على المطار تلال جبلية حمر التربة التقطت لها صورة.

نـزل الـــركاب كلهم حتى المواصلون وقالت المضيفة يمكنكم أن تنزلوا إذا رأيتم فنزلنا قليلاً في مطار صغير ذي مبانٍ ضيقة من طابق واحد.

من كونونورا إلى بروم:

عـــادت قلة من الركاب إلى الطائرة ومعهم ركاب جدد حتى امتلأت أو كـــادت ونحن راكبون في درجة رجال الأعمال في مقدمتها وأعلنت المضيفة أن الطيران إلى (بروم) سوف يستغرق ساعة وثلثاً.

المؤلف في مطار كونونورا في أستراليا

وفـــي السابعة والخامسة والعشرين أقلعت الطائرة في ظلام دامس حلَّ بســـرعة لكون المنطقة استوائية يكون ظل الأرض فيها كثيفاً بخلاف ما كان بعيداً عن خط الاستواء شمالاً أو جنوباً، فإن الشفق وهو النور الذي يبقى في الســـماء بعد غروب الشمس يكون طويلاً ممتداً قبل أن يغيب، بل إنه لا يغيب فـــي البلدان الشمالية الباردة مثل جمهورية نتارستان في شمال روسيا، ومثل لينين قراد، التي صارت تسمى بطرس بورج في شمال روسيا.

وقـــد قدمت المضيفات وهن ثلاث اثنتان منهن تخدمان درجة رجال الأعمال التـــي ركبـــنا فيها وحدها عشاء جيداً كله من المأكولات البحرية منه اربيان وهو الروبـــيان فـــي العامـــية وســـمك معتاد وقطع من نوع أخر من السمك إلى جانب خضرات مطبوخة وسلطة ثم الحلوى: (ايسكريم) بالشوكولاته.

مطار بروم:

تدنت الطائرة إلى الأرض قبل الوصول إلى مطار بروم بوقت ربما كان ذلك لعدم وجود عوائق قبله، وبدا المطار خافت الأنوار كما بدت بالقرب منه منازل ذات أنوار غير ساطعة.

وهبطـــت فـــي المطـــار فـــي الثامنة وخمس وثلاثين دقيقة بعد طيران اســـتغرق ســـاعة وعشـــر دقائق وهي مدة تقرب من مدة الطيران بين جدة والرياض التي تستغرق عادة ما بين ساعة وربع إلى ساعة وثلث.

والمطـــار مبناه صغير، نزلنا من الطائرة فسرنا إليه ووجدنا داخله في اســـتقبالنا ثلاثة من الإخوة المسلمين العاملين في الجمعية الإسلامية في بروم، وكان أهل داروين قد أخبروهم بقدومنا وطلبوا منهم أن يستقبلونا في المطار، وقـــد فعلـــوا رغم عدم وجود معرفة سابقة بهم أو اتصال معهم، وهم صبري عبدالحميد رئيس الجمعية الإسلامية وعبدالواحد حاج طالب إمام الجمعية وقد عرفـــنا بعـــد ذلـــك أن القوم يصلون الجمعة في بيته لعدم وجود مقر خاص

بالجمعـــية فيصلي بهم في بيته، وبحرم رجب عضو الجمعية، هكذا اسمه كما كتبه بنفسه بحرم بالباء في أوله، وكلهم من سنغافورة من أصول ملايوية.

أول مـــا استرعى انتباهي في منظرهم شدة سمرتهم، وأثر الجو السيئ علـــى وجوههم، وقد رحبوا بنا وحملونا بسيارة رئيس الجمعية ووجدت الجو حاراً، فذكروا أن درجة الحرارة هذا اليوم كانت ٣٧ درجة مئوية مع أن البلاد ســـاحلية بـــل واقعـــة على خليج قصير متفرع من المحيط المسمى بالمحيط الهندي، وما هو من الهند وأهلها بقريب.

ركبـــنا معهـــم كلهم بالسيارة لأنها ثلاث مراتب، وكان الظلام مستحكماً والأنـــوار غير جيدة، وأشاروا إلى مكان حاذيناه في الطريق فقالوا إن هاهنا أرض المســـجد الـــذي دمرته قنبلة يابانية سقطت عليه أثناء الحرب العالمية الأولـــى، ولم تعد عمارته بعد ذلك، بل بقي مهدماً حتى ذهبت معالمه، ولكنه مسجل عند الحكومة بأنه مسجد وأن الأرض التي حوله تابعة له.

قـــالوا وقـــد طالبنا الحكومة به فلم تمانع وأعطتنا إياه بموجب مكاتبات رسمية، ووضعنا مخطط عمارة المسجد فوافقت عليها الحكومة وسوف نريكم إياها فيما بعد.

مدينة بروم:

وصلنا البلدة أو إن شئت قلت: إنها المدينة بسرعة فوقفوا عند فندق فيها وقـــالوا: هـــذا فندق جيد ليس فيه موسيقى صاخبة، ولا شرب ظاهر، بل هو هادئ وسألناهم عن أجرته فلم يعرفوها.

وجدنـــا فـــي مكتـــب الاســـتقبال امرأتين من أولئك النساء الأستراليات الرقـــيقات ذكـــرتا أن أجرة الغرفة لليلة الواحدة ١٢٠ دولاراً، إلا أنهم عندما رأوا جوازي دبلوماسياً مع أنهم لم يطلبوا الإطلاع عليه خفضوا الأجرة لمائة

دولار، وذكـــروا أنـــه من ذوات النجوم الأربع، والمراد بالدولار هنا الدولار الأســـترالي ويعـــادل ثلثي دولار أمريكي، أي أنه صار بستة وستين دولاراً أمريكـــياً، فأخبرناهم أننا قد حجزنا للسفر إلى مدينة بيرث في السابعة والنصف من مساء الغد، فذكروا أنه يمكنهم أن يجعلوا إقامتنا يوماً ونصفاً.

واسمه (مانغروف هوتيل)، وغرفه متفرقة بل متناثرة في حديقة ممتدة واقعة علـــى شاطئ البحر، ومفتوحة عليه، على ما عليه معظم الفنادق في جزر المحيط الهـــادئ الجنوبي، فهم يبنونها بجانب الشاطئ، ويجعلونها مفتوحة عليه بمعنى أنها لا يوجد لها سور من جانب البحر وإنما هي مفتوحة عليه دون حجاب.

ولذلك أعطونا خارطة للفندق جعلوا على مكان الغرف فيها علامة بحبر أخضر مميز حتى لا نضل الغرف.

وقـــد حمـــل الإخـــوة أمتعتنا للغرف وواعدناهم غداً بعد الثالثة ظهراً، وذلك لكونهـــم يعملـــون قـــبل ذلك، وعزمنا على أن نستغل صباح غد في جولة سياحية فحجزنا لها من الفندق، وهي لمدة ثلاث ساعات من التاسعة حتى الثانية عشرة.

والشـــيء الـــذي فوجئنا به أن توقيتها متأخر عن توقيت داروين بساعة ونصـــف وذلـــك لكونهـــا تقع غرباً عنها على مسافة ١١١٣ كيلومتر، وهذه المسافة أبعد مما بين مدينتي جدة والرياض.

وفـــرق التوقيت هذا نفعنا لأننا بحاجة إلى النوم بعد ليلتين متتاليتين من السهر في السفر.

وغـــرف الفـــندق واسعة في كل غرفة سرير مزدوج عريض، وسرير ثالـــث بعـــيد عـــنه، وفيها كل ما يكون في غرف فنادق الدرجة الأولى حتى مجفف الشعر، وما يلزم لكي الملابس في الغرفة، وهي أرضية تفتح من جهة على الحديقة المتصلة بالبحر ومن جهة ثانية على متسع فيه بركة السباحة.

يوم الجمعة: ١٥/٨/١٤١٩هـ- ٤/١٢/١٩٩٨م.

لا جمعة ولا جماعة:

هكـذا قـال لنا المسلمون هنا فلا يوجد لديهم مسجد، ولا مقر للجمعية الإسـلامية، ولذلـك لم نضع برنامجاً للصلاة معهم الجمعة، وقد عاتبناهم بعد ذلـك فأخبرونا أنهم لم يستطيعوا الحصول على مقر للجمعية، وقلت لهم: إنكم ينبغي لكم أن تستأجروا ولو غرفة واحدة يجتمع فيها أعضاء الجمعية وتقيموا فـيها صلاة الجماعة إذا أمكنكم ذلك، وإننا مستعدون لأن نساعدكم في رابطة العـالم الإسـلامي علـى أجرة تلك الغرفة، ولا شك أن السبب في ذلك عدم جديتهم أو قلة عددهم أو هما معاً.

صباح بروم:

صـحوت مـبكراً في الرابعة فجراً لأنني كنت نمت مبكراً، ورأيت أن الفجر قد أسـفر رغـم كـون سـاعتي على توقيت هذه المدينة، وعجبت من كوننا في داروين وصلنا الفندق في السادسة بتوقيت المدينة أي داروين وكان الظلام ما يزال سائداً.

الرمل والبحر قرب فندق ما نغروف الذي سكنا فيه في بروم

وقد طلعت الشمس هنا في الخامسة والثلث.

ولـــم يكن في حديقة الفندق ولا ما حوله أي شيء لافت للنظر في هذه الســـاعة إلا الهدوء التام، فحتى الغرف وسكانها كلهم من البيض دون استثناء أية حركة، ولم أسمع البارحة أي صوت، أو حتى همسة لتلفاز وربما كانوا أو أكـــثرهم مثلي لم ينظروا في التلفاز فمعظمهم من السياح الذين جاءوا لقضاء وقت قصير فيها يريدون أن يستريحوا فيه من العمل والضجيج في المدن.

وتـــبعد الإدارة قليلاً عن الغرف، ولا يجمعها بها جامع، ولذلك يستطيع من يريد أن يهرب إذا كان لم يدفع ما يجب عليه دفعه للفندق أن يخرج بهدوء لأن الســـيارات تقف بالقرب من الغرف بعيداً عن الإدارة، غير أن الموظفات يحاولـــن أن يحصـــلن على الأجرة مقدمة، وبالنسبة إلينا فإننا ذكرنا لهن أننا سندفع ببطاقة الائتمان.

وجمـــيع العامليـــن في الفندق سواء في البارات والمطعم والغرف من النســـاء البيضاوات الأستراليات اللاتي هن على جانب من الرقة مع الرجال، والمجاملـــة لهـــم، فالابتســـامات حاضرات، وهي ابتسامات نابعة من القلوب حسبما يظهر من حالهن.

جولة فيما حول مدينة بروم:

اســـمها علـــى اسم حاكم من أستراليا الغربية، كان اسمه بروم فسميت باســـمه، ويـــبلغ عدد سكانها ما بين أحد عشر ألفاً واثني عشر ألفاً، هكذا قال الدليل السياحي وهو عارف بهذا الأمر، بل هو مختص به.

في الساعة التاسعة ضبطاً كانت حافلة صغيرة تقف أمام باب الفندق، وينزل مـــنها رجـــل ذو شعر كث لم تمس منه شعرة واحدة، ولو لا أنه أبيض، وبعيد عن مواطـــن السيخ لقلت إنه من طائفة السيخ الهندية لأن شعر وجهه كله سواء شاربه ولحيته وعارضاه لم يعرف المقص أو الموسى إليه سبيلا.

أعلى نقطة:

أول ما فعله أن صعد إلى تلة رملية قريبة من الفندق وقال: هذا المكان هو أعلى مكان في المدينة، لأن المدينة ليس فيها جبال، وإنما هي هذه التلال الرملية واتضح لي أن ربى قريبة من الفندق بل هي مطلة على حديقته هي من الرمل الأحمر الذي يشبه الرمل في القصيم، ولو كانت تنبت الغضا لقلت إنها قصيمة لأن القصيمة عند العرب هي الرملة التي تنبت الغضا، فإذا لم تنبت الغضا لم يسموها قصيمة والقصيم جمع قصيمة ومنه سميت منطقة القصيم بهذا الاسم، غير أنه ليس في القصيم بحر إلاّ من الرمال الحمر، وهذه بجانبها بحر أخضر أو لنقل زمردي اللون، لأن مياهه ضحلة واسم المكان (روك باي) أي شاطئ أورأس روك.

أول إنكليزي وصل أستراليا:

ذكر الدليل أن هذا المكان يسمى باسم أول إنكليزي وصل إلى أستراليا، وذلك قبل أن يصلها الكابتن كوك بزمن ذكر الدليل أن (روك) هذا وصلها في عام ١٦٩٨م فنزل فيها ولكنه لم يكتب تقارير للحكومة البريطانية، ولم ينزل فيها بنية الاستعمار أو الاستيطان ولذلك غادرها، وإن كان نزل فيها باسم الإنكليز غير أن الكابتن كوك جاء إليها بعد ذلك بـ ٨٠ سنة بنية الاستملاك والاستعمار للحكومة البريطانية أو لنقل للتاج البريطاني، ولذلك كتب التقارير ودوَّن ما رآه، وترك بعض الملاحين فيها ثم غادرها.

وهذه النقطة على شاطئ البحر بجانب فندقنا ولا ترتفع أكثر من ١٥ متراً عنه ولكن طبيعة المدينة أنها خالية من الجبال والتلال المرتفعة.

لقد كان الدليل يتكلم وأنا أفكر في عزيمة ذلك الرجل الإنكليزي الذي هو أول من وصل من العالم المتمدن في ذلك الوقت إلى هذه الأرض

المجهولـــة المليـــئة بالأخطار من الوطنيين البدائيين الذين يعتبرون بعاداتهم وتقاليدهم التي لا يعرفها الغرب من المتوحشين، إلى الأمراض والميكروبات التـــي لا يعرفها، إلى نقص وسائل الحياة من مطعم ومشرب ومسكن، ولو لم يكن فيها إلا الذباب الملح وحمى الملاريا لكن ذلك داعياً للنفور منها.

ومـــن الطـــريف الذي فعلته الحكومة هنا أنها جعلت هذه المنطقة وما حولها محمية طبيعية لا يجوز لأحد أن يحدث فيها حدثاً من حرث الأرض أو البناء فيها.

مدخل القارة:

وقال الدليل: إن الإنكليز دخلوا إلى قارة استراليا من هذه المنطقة، وهذا أمر مفهـــوم لكونهـــا أقرب إلى بلاد الملايو وإندونيسيا من أية جهة أخرى من القارة، ولكنها في نظري أسوأ مناطق القارة جواً وأقلها إغراءً.

وقـــد نوه الدليل بأن السكان الأصلاء من المسمين (أبورجنز) هم كثرة هـــنا فذكر أن ٤٠% إلى ٤٥% من سكان المدينة منهم وأنهم وأشباههم يريد بذلك من يشبهونهم أو يختلطون بهم من الملونين وأغلبهم من الجنس الملاوي يؤلفون الأغلبية من سكان المدينة، وعلى ذلك لا يؤلف البيض فيها إلا الأقلية، والبـــيض هـــم الأستراليون الذين استعمر أوائلهم القارة وسكنوا فيها ثم انضم إلـــيهم طوائـــف من الأوروبيين من غير الإنكليز كاليونانيين والإيطاليين ثم العرب في غير هذه المنطقة.

وقد راجعته في قوله: إن الإنكليز بدءوا استعمار القارة من هذه المنطقة عما إذا كان يريد أن استعمار القارة كلها بدأ من هنا؟ فأجاب: نعم.

الغوص على اللؤلؤ:

عند ميناء تجميع اللؤلؤ في بروم

مـا أن تذكـر مديـنة (بروم) حتى يذكر اللؤلؤ فقد وجد اليابانيون فيها مغاصـات اللؤلـؤ، وهم لم يجدوها وحدهم وإنما هم الذين عملوا في الغوص علـى اللؤلؤ واستخراج المحار من البحر، ثم زاد عددهم وانضم إليهم بعض الصـينيين حـتى صاروا يزرعون اللؤلؤ إذْ يستخرجون المحار ويلقحونه ثم يعـيدونه ثانية إلى البحر حتى ينبت فيه اللؤلؤ، فيستخرجونه، ثم أنشأوا فيها صـناعة مهمـة وهـي أنهم وجدوا في بحرها أصدافاً من أفضل أنواع الأصداف فصاروا يصنعون اللؤلؤ الصناعي ويصدرونه للعالم.

ولذلـك عـندما انحدر بنا الدليل من التلة المرتفعة إلى البلدة رأينا في سـوقها تماثيل لثلاثة من اليابانيين الأوائل الذين أرسوا مهنة استخراج اللؤلؤ واستزراعه وصناعة اللؤلؤ الصناعي، وكان قدومهم في عام ١٩٠٢م، وقال: أكثر الناس هنا يعملون في صناعة الؤلؤ.

في قلب المدينة:

وجدنـــا قلـــب المديـــنة ضيقاً مؤلفاً من سوق واحد فيه الحوانيت خلفها المســـاكن قـــال الدليل: هكذا الصينيون يجعلون البيوت خلف الحوانيت حتى يكونوا قريبين منها، وذكر أنها بنيت ابتداءً من عام ١٩١٦م، ورأيتهم غرسوا بعـــض أشـــجار النارجيل فازدهر ولكنهم لم يكثروا منه، وقال الدليل: كانت (بروم) قرية صغيرة ولكنها كبرت الآن بسبب اللؤلؤ.

قلب بلدة بروم في غرب أستراليا

ونـــوه بأن اللؤلؤ الموجود في البحر في المنطقة، هو من أفضل أنواع اللؤلؤ الموجود في العالم، وذكر أن تجارة اللؤلؤ هنا تبلغ ٢٥٠ مليون دولار في السنة.

والدليل سريع الكلام، ويسرع في شرحه، ويواصل ذلك مازجاً المهم بغيره.

ومـــن الطريف أنه انتقل من قلب المدينة التجاري إلى مكان خلفه غير بعـــيد منه، ليست فيه أبنية وأشار إلى مجرى منخفض فيه أشجار وقال: هذا وادٍ إذا جاء المطر امتلأ بالسيل وذهب إلى البحر.

هـــذا مـــع أنه جاف الآن، ولكنه قال ذلك بسبب طبيعة المدينة التي تقل فيها الأمطار حتى ذكر لنا الإخوة المسلمون أن المطر ربما لا ينزل من السنة إلا فـــي يـــوم واحد! وأن المطر يكثر إذا جاءتهم عواصف بحرية، ومع ذلك توجد أشجار صحراوية أو شبيهة بالصحراوية لا بأس بها.

وذكر أنه لا يوجد نهر هنا وإنما يشربون من أبار ارتوازية خارج المنطقة.

ونـــوه مرة ثانية بوجود اليابانيين في المدينة وذكر أن لهم عيداً احتفالياً فيها في شهر أغسطس يسمونه سيهثري.

بدايات المدينة:

ذكـــر أن أول ســـكنى المديـــنة كان في عام ١٨٨٣ وظلت قرية غير مشـــهورة ولا معمـــورة لمـــدة طويلة حتى جاء اليابانيون ومن ثم الصينيون وعملـــوا فـــي تجـــارة اللؤلؤ فصارت مدينة وازدهرت حتى إن عدد سكانها يتراوح الآن بين ١١ ألف نسمة إلى ١٢ ألفاً.

وعـــاد إلى خليج بحري ضيق وقال: هنا في هذا المبنى وهو مبنى قديم كان صيادو اللؤلؤ يحضرون ما معهم من المحار واللؤلؤ يبيعونه على التجار، وإن هذا المبنى ظل هكذا مدة طويلة وقال: اسم هذا البناء لوغر.

وهو يشرح مالا أهمية له لقلة المهم عندهم، وندرة الآثار في المدينة.

وذكـــر أن الذيـــن يغوصـــون في البحر ابتغاء اللؤلؤ هم من اليابانيين والصينيين ليس غير.

ومـــن ذلـــك أنه ذهب مع شارع ليس مهم المظهر وأشار إلى مبنى معتاد وقال: هـــنا مركـــز الشـــرطة وهناك إدارة الاتصالات البحرية وأهم ما ذكره مبنى المحكمة وهـــو تاريخـــي قـــال: بناه حاكم المنطقة في عام ١٨٨٣ على الطراز الإنكليزي ولا يزال محتفظاً بمظهره وهو أبيض الطلاء إلاّ درجه وأفاريزه فهي حمر.

الكنيسة الصغيرة:

ذهب بعد ذلك إلى بناء صغير تبين أنه كنيسة صغيرة، وقال: هي كاثوليكية، وقد تقدم السياح الذين معه وهم ستة غيرنا، زوجان أبيضان وامرأتان يابانيتان داخلها ورأيت أنها لا تستحق أن ينوه بها فضلاً عن أن يدخلها ويتفقدها ولكنه ذكر لي بعد ذلك عندما سألته عن أصله أنه ايرلندي مولود في بيرث، واسمه تيم دابيس، وأهل ايرلندا كما هو معروف كاثوليك ماعدا إيرلندا الشمالية التابعة أو الداخلة في المملكة المتحدة التي هي بريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية، فإن معظم سكانها من البروتستانت الذين جاءوا إليها منذ مئات السنوات، وأما الكاثوليك فإنهم فيها أقلية، ولذلك استعرت الحرب فيها بينهما.

وجدنا الكنيسة عندما دخلناها صغيرة ضيقة بحيث إنه ليس فيها إلا ٢١ كرسي من الكراسي المعتادة وليس فيها كراس مستطيلة كالعادة وليس فيها منصة إلا منصة صغيرة لاصقة بالأرض من أهم ما فيها أن موضعها وهو الذي يقف عنده الكاهن مستقبلاً الجمهور الذي لا يمكن أن يزيد على ٢١ شخصاً إذا امتلأت الكنيسة من أصداف لامعة من الأصداف الجيدة الموجودة في المدينة.

المؤلف يتأمل محراب الكنيسة من الصدف في بروم

وهـــي طابق واحد ولكنها قديمة بنيت في عام ١٩١٦م وذكر الدليل أن الكاثولـــيك هنا قليل أو يكادون لا يوجدون، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية عـــندما هزمـــت الـــيابان تنصر بعض اليابانيين الموجودين على اعتبار أنهم انقطعت صلتهم ببلادهم وصاروا يدخلونها.

وقـــال: الســـبب في تنصرهم أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تهتم بهم من ناحية الملاحظة والعلاج والدفن بعد الموت ونحو ذلك.

ولم يقل لنا ماذا كانت عليه حالهم بعد أن انتهت الحرب وما لحق بها من أمور.

وقلـــت فـــي نفســـي: إن المسلمين الآن في المدينة هم قليل يقدرون ما بين عشرين رجلاً و٣٠ فحبذا لو بني لهم مسجد صغير على الأرض التي يملكونها.

والغريـــب في أنه تطرق إلى كيفية بناء هذه الكنيسة كأنه يستبعد بناءها فـــي ذلك الوقت وقال: تبرع رجل ثري يملك (٥٠٠) جنيه هي كل ثروته بها فكانت نواة نفقة هذه الكنيسة التي بنيت من الخشب.

وقلـــت في نفسي: إن كثيراً من المسلمين أغنياء بإمكانهم أن يتبرعوا بخمسة آلاف جنـــيه وهـــي كافية لبناء مسجد صغير لابد من أن تكون له منارة مميزة ولو قصـــيرة تجمع لها التبرعات، ونحن في رابطة العالم الإسلامي على استعداد لدفع المـــبلغ إلا أن الـــذي يفـــت في العضد هو كيفية الإشراف على بناء المسجد، وقد عزمنا على أن نبحث هذا مع المسلمين إذا جاءوا إلينا عصر اليوم.

المكتبة العامة:

مررنا بمبنى نوه السائق الدليل به قائلاً: هذه هي المكتبة العامة ولكنه لم يقف عنده فضلاً عن أن يدعنا ندخله، ولذلك لا نعرف حجمه، ولا ما يحتويه مـــن الكتب، ولكن اللافت للانتباه أن تكون لهذه المدينة الصغيرة التي لا يزيد عـــدد ســـكانها علـــى اثني عشر ألفاً مكتبة عامة لها مبنى يوضع في برنامج

السياحة في المدينة. وبلادنا أولى بذلك منهم، فلغتنا العربية عرفت التأليف في الفنون المختلفة من العلوم ثم إن ديننا دين قراءة وبحث وأول سورة أنزلت من القـرآن هي قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ۞ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

أيوجـد نـص فـي كتاب ديني قديم أو حتى أدبي قديم مثل هذا الأمر بالقراءة والحث عليها والتنويه بأن الله سبحانه وتعالى علم بالقلم وعلم الإنسان ما لم يعلم؟

ومـررنا بالكنيسـة الإنجلكيانـية وهـي الكنيسـة الإنكليزية الخاصة بالبروسـتانت وهـي أهـل هذه البلاد الأسترالية الأوائل، ومع ذلك رأيت كنيستهم صـغيرة أيضاً- وقلت في نفسي: إنه إذا تم بناء المسجد بإذن الله فإن الحكومة في هـذه المديـنة ستضـعه في برنامج السياحة فيها مثلما وضعت المساجد حكومات أخـرى في برامج السياحة وتولت ما يلزم لذلك مثل الحكومة في برازيليا عاصمة جمهوريـة الـبرازيل، حيـث ابتدأت هي أهل المركز الإسلامي الذي فيه المسجد طالـبة أن يكـون الإطـلاع علـيه من جملة ما يطلع عليه السياح والزوار الذين يـزورون المديـنة وزادت بأن وضعت على رصيف المركز العريض لافتة كبيرة مكلفة (المركز الإسلامي في برازيليا).

خليج كروباك:

واصل الدليل الجولة وهو يواصل الحديث من مكبر الصوت في السيارة لا يفـتر عن ذلك فمر بمنزل كبير بالنسبة إلى بيوت البلدة، وقال: هذا منزل رجـل إنكلـيزي مهتم باللؤلؤ، ومر بمبنى أصفر صغير وقال: هذا أول فندق أسس في المدينة.

ثـم خرج إلى شاطئ البحر، فوقف في شاطئ اسمه (كروباك باي) وترجمته الحرفـية (خلـيج كروباك) ولكنني لم أر فيه إلا شاطئاً معتاداً وليس خليجاً متميزاً

وربمـــا كـــان الـــناس في أول الأمر عندما كانت الاتصالات تتم بالسفن والقوارب يـــرون المنعطف الصغير أو الماء الداخل في الأرض كالخليج الذي يستحق التنويه بـــه، ولكن فيه أشياء تستحق الاهتمام أحدها أن تربته رملية حمراء اللون كالذهب وهي مرتفعة كالكثيب وقد أكل البحر منها جزءاً.

شاطئ كروباك الرملي قرب بروم

ومنها أننا رأينا طائفة من (أبورجنس) تحت الأشجار لا شغل لهم مطلقاً كما يبدو للناظر إليهم وقال آخرون ومنهم الدليل: إنهم يكونون تحت تأثير الخمر دائماً.

ومـــنها أنني رأيت طائفة من طيور النورس التي تكون كثيرة على شواطئ الـــبحار البعـــيدة عادة كالمحيطات أو النائية شمالاً وجنوباً وقد وقعت على الأرض فـــي ظل شجرها، فحاولت تصويرها ولكنها في الظل ربما لا تتضح الصورة لها، ومـــنها أنني رأيت لافتة تقول لقد رؤي التمساح في هذا المكان من شاطئ البحر، هذا ومياه البحر على هذا الشاطئ ضحلة لازوردية اللون.

نزلنا في هذا الشاطئ للتصوير، ثم عاودنا الركوب في الحافلة الصغيرة ومررنا بمتحف بروم التاريخي كما كتبوا عليه، فطلبت منه أن يقف بنا عنده لنراه فقال: لا وقت لدينا لذلك.

هــذا والشوارع والطرق والضواحي جيدة في زفتها وأرصفتها ولكنها ضيقة حتى خارج المدينة.

ومررنا بمجموعة من الأشجار فذكر أنها تمثل الحديقة الاستوائية هكذا ولكنني لم أر من أشجار الفاكهة الاستوائية فيها شيئاً كالباباي والأنبه (المانقو) وحــتى المــوز لم أر منه شيئاً ولا شك في أن سبب ذلك شح الأمطار وعدم انتظامها في هذه المنطقة.

بيت الأصداف:

وقــف عند مبنى من طابق واحد كأكثر بيوت المدينة بينه وبين الشارع ممر بين أشجار قصيرة مغروسة، وقال: هذا بيت الأصداف (هاوس شيلد).

وتقدمــنا إلى داخل المبنى فوجدنا شراباً من شراب الفاكهة بارداً وزعه على كل منا وامرأة مسنة في المكان ترحب وتقول: لدينا أحسن أصداف في العالم.

وأقــول: إنني لا أذكر أنني رأيت أصفى من تلك الأصداف ولكن لا أعرف إن كانت أحسن أصداف العالم، وأكثرها يلمع كأنما طلي ببلور صافٍ.

وقــد رتبوا الأصداف في رفوف كالواجهات الزجاجية فرأيت منه عجباً ليس من صفاء اللون فقط، وإنما- أيضاً- في أشكاله حتى إن بعضه على هيئة حــيوان، وبعضه على صفة الحلزونات، وأخرى كالضفادع ولكنه كله صافٍ جميل، وبعضه ملون.

وإلى جانبه في أماكن أخرى عرضوا المصنوعات من الأصداف ومنها اللؤلؤ بأنواعه عقوداً وأساور وقلائد.

وأكــثره غالــي الثمــن ومــن ذلك عقد اللؤلؤ يبيعونه بـــ١٥٠ دولاراً أسترالياً ولكن لا أدري أهو حقيقي أو صناعي.

والحقــيقة أن رؤيته ممتعة، وإن لم يكن الشراء منه ممتعاً ولم أر أحداً

من الرفقة اشترى شيئاً إلا إحدى اليابانيتين اشترت سواراً.

المؤلف في ميناء بروم

فيها كليتان:

انطلقـــت الحافلة مرة أخرى ومر بكلية اسمها (سانتا ماريا) أي القديسة مـــريم وظاهر أنها كلية دينية مسيحية إن لم نقل إنها تبشيرية، فلم نسأله عن ذلك، وقال: في بلدتنا كليتان إحداهما هذه.

المقبرتان:

مـــر بمقبرة غير واسعة وقال: هذه مقبرة صينية ولم يقف عندها وإنما وقـــف عند مقبرة أخرى بجانبها، أما الصينية فإن القبور فيها ليست بعيدة عن شكل المقابر في البلدان العربية والمسيحية، على كل قبر شاهدان من الحجارة عليه حروف صينية أحد الشاهدين عند رجلي الميت والآخر عند رأسه.

أمـــا المقبرة الثانية اليابانية فوقف عندها ونزلنا وبدا أنه مهتم بها كثيراً وقد تبين لنا السبب في ذلك وهو أن أول من دفن فيها رجل إنكليزي.

فقـــال: أول من دفن فيها رجل إنكليزي اسمه (جوزيف توميسون) مات فـــي ١٨٤٥/٢/٩م. قال: وقد دثرت ثم أعيدت مقبرة في عام ١٩١٧م اتخذها اليابانـــيون مقـــبرة وأشار إلى قبور عديدة لليابانيين وقال: هؤلاء كلهم ماتوا بسبب الغوص في البحر طلباً للؤلؤ لأن أجسامهم تقع تحت ضغط المياه فتؤثر فيهم عندما يتكرر ذلك أمراضاً تقتلهم بعد ذلك.

والفـــرق واضـــح بين المقبرتين الصينية واليابانية، فالأخيرة ليس على القبر فـــيها إلا شاهد واحد محاط من أسفله بمربع في طول ٣٠ سنتيما وعرض مثله ولا يكون له شاهد أخر لذلك لا يبين امتداد القبر من أية جهة.

ســـألته عن ديانتهم فلم يعرف إلا أن المرأة اليابانية المرافقة وقد قرأت الكتابة اليابانية على القبور وهي بحروف صينية قالت: إن ديانتهم شنتوية أو (شنتو) على حد لفظها.

وقـــد ظننت أن هذا رمز إلى أن الميت يحرق وأن رماده يجمع في مثل هـــذا المقـــدار كما رأيت تراب جثث عديدة في لاوس وهم بوذيون يحرقون موتـــاهم قـــد جمعـــت فيما يشبه الإناء الواقف كتبوا عليه اسم صاحبه، فقال الدليل: لا، هؤلاء كلهم دفنوا دون أن يحرقوا، ثم قوله بأن هذه المقبرة أهملت واحتاجـــت إلـــى ســـور وصـــيانة فجمع حاكم المدينة وكان من أصل ياباني تـــبرعات لها كفت لصيانتها وبقائها على ما هي عليه الآن وقد رأينا ذلك في لافتة على مدخلها لم نفطن لها من قبل.

وقال: كان ذلك في عام ١٩٣٨م.

اللؤلؤ في كل مناسبة:

استأنفت السيارة السير واستأنف وهو الذي يقودها كلامه المتواصل من المكـــبر فقال: هذه هي المنطقة الصناعية ورأيناها ضيقة لا تستحق أن تسمى كذلـــك ولكـــنه تكلـــم على صناعة اللؤلؤ والمحار وعلى استزراع اللؤلؤ في المحار مثلما تقدم أو شبيها به.

ثـــم رأيـــنا خزانات صغيرة للمحروقات أشار إليها وقال: هذه لتوزيع البترول! وهي لا تستحق أن يلتفت إليها ولكن الأشياء المهمة قليلة في المدينة.

ميناء بروم:

عـــاد إلـــى الـــبحر ودخل فيه مع طريق مدفون أول الأمر ثم صار كالجسر وهـــو طـــريق الميناء ضيق يتسع لسيارتين بصعوبة حتى وصلنا المرفأ نفسه، ولم نجد فيه إلا سفينة صغيرة واحدة وبعض العمال فيه ليس عندهم عمل فوقف فيه.

مع الدليل السياحي في بروم في غرب أستراليا

ورأيــت ونحن واقفون فيه كثباناً من الرمل الأحمر على شاطئ البحر فصورتها، والتقطت صورة تذكارية معه سر غاية السرور عندها، وكأنما هو لم يعتد على أن يطلب السياح صورة معه.

هــذا وقــد أعجبنــي منظر هذه الكثبان الرملية الحمر على البحر مما ذكرنــي بأرض البرازيل عمرها الله تعالى فقد رأيت فيها كثباناً رملية عديدة فــي شواطئ مدينة (ناتال) عاصمة ولاية ريو قراندي دي نور تي أي ولاية النهر الكبير الشمالي، وذلك أنهم لديهم في بلادهم ولاية أخرى اسمها (قراندي دي ســول) أي ولاية النهر الكبير الجنوبي، وقد ذكرت ذلك في كتاب (شمال شرق البرازيل) وذكرت الولاية الجنوبية في كتاب: "جنوب البرازيل".

وهذا الميناء البحري مع أنه داخل في البحر من أجل أن يصل إلى المياه العمــيقة حــافل بالذبان الخشنة الملحة، ولا أدري من أين تتغذى هذه الذبان الكثيرة في هذا المكان.

وقــد تعجبــت من كونهم لم يغرسوا أشجار النارجيل في هذا الشاطئ الرملــي الذي هي صالح لها مثلما عمل البرازيليون في شواطئهم في الشمال القريب من خط الاستواء.

ورأيت في مدخل البناء مبنى وحيداً كتب عليه أنه (الكازينو الآسيوي)، ثــم وقــف مرة أخرى ليتحدث عن زراعة اللؤلؤ، وذلك عند مبنى قريب من الــبحر ذكر أنه لزراعة اللؤلؤ، وذلك أنهم يأخذون المحار من البحر فيلقحونه ثم يعيدونه إلى البحر من أجل أن ينمو فيه اللؤلؤ.

أنحن في الصحراء العربية؟

تــرك الدلــيل السائق الطريق المزفلت وسار داخل ما يمكن أن أسميه الصحراء من دون خروج عن الواقع لولا وجود بعض الأشجار القصيرة فيه نتيجة للمحافظة عليها وعدم قطعها، وسار مع طريق رملي غير مزفلت ولكنه

مدكـــوك متلـــبد واســـتمر يسير والسيارة تقرقع بسبب ذلك مما ذكرني بحالة السيارات في بلادنا في القديم قبل أن تعم الطرق المسفلتة بالبلاد، وننسى ذلك فيما نسيناه من حالتنا السابقة، والسيارة تثير غباراً كما كانت سياراتنا تفعل في صحرائنا في القديم.

مع رفيق الرحلة الأستاذ رحمة الله بن عنابة الله
فـــي المنطقة الصـــحراوية الرملية خـــارج بروم

شاطئ الكابتن ليداوو:

ومـــا زال يسير حتى وقف قرب البحر عند شاطئ اسماه شاطئ الكابتن ليداوو (كابتن ليداوو بيتش).

وذكـــر فـــي سبب تسمية هذا المكان باسم هذا الضابط (الكابتن) أنه كان قائد ســـفينة فاخـــتلف مع بحارتها فذبحوه ذبحاً كما تذبح الشاة، وألقوا بجثته في البحر فحملها الموج إلى هذا الشاطئ حيث وجدت، وكان ذلك في عام ١٨٩٣م.

إن تواريـــخ هذه الأحداث تعتبر قديمة بالنسبة إلى ما صرنا نعرفه عن

هذه البلدان البعيدة ولكنه بالنسبة إلى الإنكليز ونحوهم تاريخ مهم لهم، بل هو العصر الذهبي لهم في الاستكشاف والاستعمار.

الوباء الذبابي:

لـــم نكـــد ننزل من السيارة وهي حافلة مكيفة حتى هاجمتنا أسراب من الذبان الجائعة الملحة الخشنة الوقع على الجسم، رغم صغر حجمها وهي تلح وترمـــي بنفسها على كل منافذ الجسم، وأكثر ما ضايقني أنها تقع على داخل شـــفتي، وقال أحدهم: إنها تريد أن تشرب من أفواهنا، وتحاول أن تدخل في الأنـــف والأذن وتعض كل ما تصل إليه من الجسم، ولو كانت قليلة لهان الأمر لأن الإنسان يذودها ولكن كيف يذود مئات منها تهاجمه معاً.

وكانـــت بلـــية النســـاء اللاتي ليس عليهن من اللباس إلا ما يكون على أمثالهن في الصيف أعظم، فالذراعان والعضدان والساقان إلى نصف الفخذين عارية إلى جانب الرقبة والذباب يهاجم بطريقة لم أر مثلها قط في حياتي، لا في بلادنا ولا في غيرها من بلدان العالم.

وكنت أعجب كما عجب الجاحظ من قبلي من وجود ذباب في الصحراء البعـــيدة عـــن العمارة ولكنها عندنا أفراد معدودة، وهي تبدو مستحية تنقصها الشـــجاعة في مهاجمة الإنسان، وإنما تبحث عن الطعام تطعم منه أو الشراب خلسة وبحذر.

ولك أن تتصور كيف يهجم عليك جيش من الذباب الخشن فيدخل بعضه في أنفك وبعضه يقع فوق شفتيك يبحث عن فرصة يدخل فيها إلى فمك، فإذا مـــا جعلـــت تذوده عن وجهك هاجم رقبتك وذراعيك، ثم لم يلبث إلا لحظات حتى يهاجم وجهك ثانية وعلى نظام السرايا الحربية واحدة بعد أخرى، وأحياناً واحـــدة مع الأخرى، والتفتُّ إلى السائق أقول له وأنا مكروب فرأيته يوميء برأسه ويضرب بيديه يذودها عنه: لماذا يكثر الذباب هكذا؟ فقال: في الحرارة

والرطوبة يكثر الذباب، فقلت: هذا جواب غير مقنع لأن بلاداً كثيرة اشد حراً وأكثر رطوبة من هذه المدينة وليس فيها مثل هذا الذباب، فسكت.

وكـدت أسـأله عـن السبب في صغر حجم هذا الذباب فهو أصغر قليلاً من الذبـان التـي عندنا وعن وجودها هنا حيث لا عمارة وبالتالي لا طعام ولا شراب لهـا، لأن المنطقة ليس فيها أي اثر لعمارة ولا توجد قريباً منها، ولكنني وجدته مثل غيره من الرفقة في شغل في مدافعة الذباب عنه.

وهـنا ذكـرت مـا روي عن الشعبي رحمه الله أنه قال: دخلت على عـبدالملك بـن مروان وهو في الشام فرأيته يذود ذباباً كان ألح على الوقوع فـوق وجهـه فتـبرم منه وقال: يا شعبي، ما الحكمة من خلق الذباب؟ قال الشـعبي: ولم أكن أعرف الحكمة من خلقه ولكنني رأيت هذا الخليفة العظيم تبرم به فقلت: ليذل الله به الجبابرة، فسكت.

وعلى ذكر الذبان ووقوعها على وجوه الملوك حكى ابن بطوطة رحمه الله في سياق رحلته في الهند أنه احتاج حاجة لدى الملك محمد تغلق ملك الهند وكان جباراً قاسياً تصعب مراجعته، قال: فبحثت عن شخص مقرب منه لكي يتوسـط لديـه في رحلتي واخترت وزيره المقرب ليشفع لي عنده، ولكنه لم يسـتطع أو لم تنفع شفاعته، قال: فأشار عليَّ أحدهم بأن أوسط الذي (يُشرِّد) الذبـان عن وجه السلطان- على حد تعبيره، قال: وقد نفعني فقد ذكرني عند الملك بما أحببته وبما كنت أوصيته به.

وهكـذا أوضـح لـنا ابن بطوطة أهمية الشخص الذي يطرد الذبان أو يشردها- كما قال- عن وجه السلطان.

ولكن لا ينبغي أن يُظن أن الذبان ذات طباع واحدة في كل البلدان، لأننا جربنا ذباننا في جزيرتنا العربية فوجدناها أقل وحشية وأكثر (إنسانية ذبانية).

وربمـا صح القول إن طبائع الذبان تختلف فيما بينها كما تختلف فيما بينها طبائع بني الإنسان.

ولاحظت كثرة النمل في أرض هذه المدينة كما في أرض داروين، ولكنه نمل صغير، بل دقيق جداً لم أر لها شبيهاً في صغره، وهو الذر عندنا وليس النمل المعتاد، إلا ذراً رايته في مكة المكرمة فهو صغير وسريع الحركة لكن ذرنا أكبر من هذا الذر الأسترالي الشمالي.

واستمر سيرنا على أقدامنا في هذه الأرض الصحراوية، وأسراب الذباب كأنما تتبع من الأرض تحت أقدامنا لأننا لا نراها تلاحقنا وما شبهتها إلا بالجراد الذي يكون واقعاً في الأرض ثم يتحرك إذا وصل إليه الإنسان فاراً منه، أما هذه الأذبة- جمع ذباب- فإنها تتحرك بسرعة عجيبة لتهاجم الإنسان.

وقف الدليل بنا عند منارة عالية لهداية السفن ولكنها من قضبان الحديد القوية مثلما تكون عليه أبراج الكهرباء وفي أعاليها برج صغيراً ينار في الليل، ذكر أنها أقيمت في عام ١٨٨٠م.

وبجانبها منزل أو كالمنزل من الخشب المسقف بالصفيح خالٍ مهمل، وليس بالمنطقة أنيس من إنسان أو حيوان إلا ملايين الذباب المؤذي.

ثم سرنا خلفه وكأننا الأطفال خلف أمهم حتى وقف على شاطئ البحر قرب ساحل عجيب فهو رملي ولكننا رأينا البحر قد جرف تحت الرمل صخوراً كبيرة منفصلاً بعضها عن بعض.

الميكلاصور:

ربما لا تكون سمعت- أيها القارئ الكريم- بالميكلاصور، ولكن لا شك في أنك سمعت بالديناصور، ذلك الخلق العظيم الذي يعتبر الفيل لديه طفلاً وهو من عائلة من عمالقة الخلق التي نقص بعدها وربما كان يشير إليه الحديث: فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن.

وقف بنا السائق حول آثار أقدام على أسمنت مسلح وهي ثلاثة مواطئ قدم أو أقدام كبيرة، وقال وجدوا هذه الآثار منطبعة على صخرة كشفت عنها مياه

البحر في هذا المكان فدرسها العلماء وأثبتوا أنها أقدام لميكلاصور، وأنه يصح أن يقال: إنه من أبناء عمومة الديناصور أو من فصيلته، هو من عصور سحيقة فصبوا اسمنتاً هنا وطبعوا عليه صورة موطئ (الميكلاصور) هذا.

والعجيب أن آثار وطئ قدمه هذا يشبه آثار وطئ الطائر الذي التصقت أظفاره كالبط، فهو شبيه بالمثلث الذي رأسه إلى الأمام ولكن (تثليثه) ليس كامل الزوايا، وربما كان له شبه قدم الفيل.

وكنا نتأمله والأمواج تلاطم صخور الشاطئ غير الثابتة لأن بينها طيناً وفوقها طيناً.

ومن الطريف أن الدليل أعطانا دعاية لسباق الإبل وذكر أنه سيقام في شهر مايو ١٩٩٩م، فسألته: أهي توجد هنا؟ فقال: لا، نحن نستوردها، أي يحضرونها من خارج المنطقة، وهنا تعجبت من انعكاس الأمر، فنحن لدينا أشياء مهمة لها تاريخها ولا نهتم بها وأشياء موجودة لا نلقي لها بالاً في جذب الزوار والسياح وهم عكس ذلك ليس لديهم تاريخ لأن هذه البلاد لم يمض على سكناها إلا أكثر قليلاً من مائتي سنة وليس فيها أشياء مهمة ومع ذلك يستغلونها أعظم استغلال.

وقف السائق في هذه المنطقة من هذا الشاطئ المسمى (شاطئ كابتن لداوو) وقال وهو يشير إلى جهة من البحر، هنا يقع خليج بروم ويشير إلى أخرى ويقول: هنا مياه المحيط، مع أن الناظر إليها لا يجد بينها فرقاً.

ثم رجعنا من حيث جئنا إلى موقف سيارتنا البعيد ولا يوجد أحد في المنطقة يتحرك إلا هذا الذباب الفظيع، فأخرج من سيارته وعاء حفظ الماء البارد (الترمس) وأخذ يسكب لنا من مائه البارد في أكواب من الورق أحضرها معه، وكان له وقع عظيم عندنا في هذه الشمس الحارة، إلا أن الذباب كدر علينا لذة شرب الماء، لأن يد الإنسان تكون مشغولة بالكأس

ورأسه تكون مشغولة بالشرب لا يستطيع أن يواصل الإيماء بها يميناً وشمالاً ليطرد عنه الذباب.

ولذنا بالسيارة عن الذباب وإن كان دخلها معنا شيء منه، وعاد السائق إلى الطريق الصحراوي الرملي يسلكه في عودته إلى المدينة.

ولاحظت أن الخضرة في الأرض معظمها من أشجار قصيرة غرست معها أو نبتت بدون غراس أشجار من أشجار الكينة التي نعرف نوعاً منها في بلادنا.

العودة إلى المدينة:

دخلنا مع ضاحية منها فيها بيوت جديدة على هيئة دارات (فيلات) صغيرة أشار إليها السائق الدليل باهتمام، وقال: إنها مساكن جديدة للبيع؟!

فقلت لصاحبي: أتريد أن تشتري مسكناً جديداً في (بروم) لو لم يكن فيها من السيئات إلا هذا الذباب الملح لكفى منفراً؟

ثم مررنا بمعرض للؤلؤ مكتوب عليه (ببرل فارم) أي مزرعة اللؤلؤ، وبحديقة ذكر أن فيها تماسيح، ولم ندخلها فقد انتهى الوقت المحدد وهو الساعة الثانية عشرة، بل زادت خمس دقائق وهو لايزال يجول في أطراف البلدة يوزع السياح على أماكنهم، ومع ذلك يواصل الكلام فمرينا بمنطقة اسمها (كيبل بيتش) رأينا حديقة فيها على مداخلها تماثيل الأسد الصيني وهو تقبيح لصورة الأسد الحقيقية انتشرت في التراث الصيني القديم.

شاطئ معتنى به في بلدة بروم

وبحديقـــة مكتوب عليها حديقة التماسيح، وظني أن التماسيح تربى فيها لأن الصينيين يأكلونها، بل يحبون لحمها.

وقـــد طلبـــنا مـــنه أن يمر بنا على مصرف نصرف منه دولارات أمريكية بأسترالية ففعل بارتياح ولم نصل إلى فندقنا إلا في الثانية عشرة والنصف.

وقـــد تقاضـــى ٣٥ دولاراً أســـترالياً للشخص الواحد عن هذه الجولة، وذلك يساوي ٨٧ ريال سعودياً ونصفاً أو اثنين وعشرين دولاراً أمريكياً ونصفاً.

المسلمون في بروم:

فـــي الســـاعة الثالثة من بعد الظهر حضر إلينا في الفندق بناء على الموعد الســـابق رئـــيس الجمعية الإسلامية الذي كان قد استقبلنا في المطار البارحة وهو صـــابري عبدالحميد وإمام الجمعية غير المؤهل الأخ عبدالواحد حاج طالب فعقدنا معهـــم جلسة في الفندق تناولت أحوال المسلمين في هذه المدينة وأوضاع الجمعية

الإســـلامية فيها، وما يمكن أن تقوم به الرابطة، وقد أبديت لهما استغرابنا من كون المســـلمين لـــيس لهم جمعة ولا جماعة مع أن جمعيتهم مسجلة رسمياً لدى الدولة، وقلـــت: إن هـــذا أمـــر لا يجـــوز، وإننا نخشى أن يحاسبكم الله عليه. فذكروا أن المســـلمين كـــانوا موجوديـــن في هذه المدينة قبل الحرب العالمية الثانية، وقد بنوا المســـجد الـــذي ســـوف نريكم أرضه بعد ذلك، إلا أنه دمر أثناء الحرب العالمية الثانـــية، ثم ترك المسلمون البلدة، ولم يطالب به، وبعد ذلك كثر عدد المسلمين فيها وطالـــبوا الحكومـــة باسترجاع الأرض فوافقت على ذلك من دون أية ممانعة لأنها تعـــرف أن الأرض هي أرض المسجد، فأخذوا يجمعون المال من أجل إعادة بنائه، ولأن كثـــيراً مـــنهم هاجروا بأسرهم إلى مدينة بيرث عاصمة ولاية غرب أستراليا وإلـــى مدينة (بورت هيدلاند) حيث توجد فرص عمل أكثر، ولم يبق الآن في هذه المدينة من المسلمين إلا ثلاثون مسلماً نعرفهم بأسمائهم.

قالوا: ولدينا الآن ٤٢ ألف دولار أسترالي في حساب الجمعية، ونحن نسعى لبـــناء المســـجد، حيـــث إن الحكومة قد سلمتنا الأرض، وأذنت لنا بالبناء، وأرونا مخططاً لأرض المسجد عليه رخصة البناء من الحكومة.

مع الإخوة المسلمين على أرض المسجد المهدوم في بروم في غرب أستراليا

وذكـــروا أن أول المســـلمين حضـــوراً إلى المدينة هم من الأفغان وإنه هاجـــر إلـــيها عدد من أهل الهند وماليزيا وإندونيسيا، ولكن بعضهم هجرها وذهب إلى مدن أخرى، وبذلك انخفض عدد المسلمين فيها.

وذكـــروا أن أغلبـــية المســـلمين فـــي (بروم) ماليزيون، وبعدهم يأتي السنغافوريون والإندونيسيون وعدد قليل جداً من الهنود.

ورئيس الجمعية والإمام والثالث الذي حضر لاستقبالنا في المطار وهو (بحروم رجب) هم من سنغافورة إلا الإمام فإنه من ماليزيا.

ذكـــروا أنـــه لا يوجد عندهم إمام وإنما يزورهم بعض الدعاة من الهند وماليزيا، وغير ذلك لا يوجد لديهم أي إرشاد.

هـــذا وقد ذكروا لنا أن رئيس الجمعية وبحروم رجب كلاهما يعمل مع الســـكان الأصلاء المسمين (أبورجنس) من قبل الحكومة أي إن الحكومة تدفع لهما الراتب، ومع ذلك لم يقوما بدعوتهم إلى الإسلام، مع أن الحكومة لا تمانع فـــي ذلك، إلا أنهم ذكروا أن رجلاً من (الأبورجنس) أسلم على يدي (بحروم) وإن هذا المسلم سافر إلى سنغافورة وهو فيها الآن.

وقد أنكرت عليهم هذا الأمر وقلت: إنه يجب على العاملين في الجمعية الإســـلامية أن يدعـــوا غيرهم إلى الإسلام، لأن هذا هو واجب كل مسلم قال تعـــالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾**.

وقلـــت لهـــم: إنكم أقرب إليهم من الأستراليين البيض، وإنكم تعرفون كيف تـــتعاملون معهم، وذلك أنني لاحظت أنهم شديدو السمرة إلى درجة تقرب من سواد إلـــ (أبورجنس)، ومع ذلك ذكر لي رئيس الجمعية أنه مولود في سنغافورة.

وذكـــر أن المسلمين يعملون في وظائف حكومية، وبعضهم يعملون في صناعة اللؤلـــؤ، وذكروا أنهم لم يزرهم أحد من المعنيين بالدعوة الإسلامية إلا الأستاذ (أسامة ببت المال) المدير السابق لمكتب رابطة العالم الإسلامي في أستراليا.

وعـاد الحديـث إلى المسجد وأنه ينبغي المبادرة ببنائه، وقالوا: إننا نرى أن بـناء المسجد من مواد رخيصة أرخص من الأسمنت المسلح هو موافق ويرون أن يبـنوه صـغيراً، فقلـت لهم: أنتم أعرف بهذا الأمر، ولكننا نرى أنكم إذا بنيتموه صـغيراً، ولـم تكونوا بحاجة إلى جمع المزيد من المال فهذا أنسب لكننا نعدكم أن رابطة العالم الإسلامي إذا عرفت أنكم بدأتم العمل أن تساعدكم، وعليكم أن تخبروا مدير مكتب الرابطة في ملبورن- أستراليا- سعيد شاه بذلك.

وذكروا أنهم يصلون في بيت الإمام عبدالواحد حاج طالب.

سألتهم عن الذين بنوا المسجد القديم من هم وكيف بنوه؟ فأجابوا: إنهم لا يعـرفون عـن ذلك شيئاً إلا أن الرجل الذي تصدر هذا الأمر وعمل له اسمه (محيي الدين) ولا يعرفون من أمره شيئاً غير ذلك.

ولا ينبغـي أن يسـتنكر هذا الأمر لأن العادة أن المدينة التي يكون فيها جذب اقتصادي يهاجر إليها التجار والعمال، فإذا خف ما فيها من الكسب، أو وجدوا مدينة أوفق منها تركوها إلى غيرها.

وذكـروا إضافة إلى ما عرفناه عن أمر المدينة أن السياحة إليها تكون من أكتوبر إلى مايو وإن الجو يبرد في هذه المدة.

وذكـروا أن نزول المطر قليل هنا ويحدث في بعض السنوات ألا ينزل إلا يوماً واحداً في السنة. وقالوا مستغربين: إذا جاءت العواصف البحرية جاء معها المطر.

ومـن المفجـع بالنسبة لهذين الأخوين حالة العمل لهما فرئيس الجمعية يعمـل مـع الـ(أبورجـنس) في نصف الأسبوع إذْ لا يوجد له عمل لكل الأسبوع، وأن الإمام يعمل أيضاً نصف دوام مع شركة نظافة!!.

وقـد أخـبرناهما أن المشكلة عندنا تتمثل في عدم وجود من يمكن أن يشـرف على بناء المسجد في هذه المدينة، وأعطيناهم تبرعاً رمزياً هو ثلاثة آلاف دولار أسترالي يضعونها مع ما لديهم من المال المرصود لبناء المسجد،

وعزمنا على إثارة أمرهم في مكتب الرابطة في ملبورن، لمعرفة كيفية مساعدتهم على بناء المسجد ومن يستطيع الإشراف عليه.

أرض المسجد:

خرجوا إلينا وعادوا في الساعة السادسة قبل غروب الشمس بثلث ساعة فتوجهنا معهم إلى مكان المسجد وهو قريب من الفندق على طريق المطار.

عند الكومة المتبقية من مسجد بروم في غرب أستراليا مع الإخوة المسلمين

رأينا أرض المسجد معتادة ماعدا كومة من آثار المبنى تشبه كومة الطين، وقد جللت الأعشاب الوحشية الأرض، ومن الغريب أنهم لم يعرفوا مساحة الأرض على وجه الدقة وقالوا: يوجد ذلك لدى سكرتير الجمعية الإسلامية (بحروم رجب) وذكر أنها تساوي الآن لو بيعت ما بين (٤٠٠) إلف دولار و(٥٠٠) ألف، وظني أنها تساوي أكثر من ذلك فهي على الشارع الرئيسي الممتد من المطار إلى البلدة.

كـــنا نـــرى الأرض وأســـراب الذبـــاب تهاجم ما تستطيع الوصول إليه من أجســـامنا، ولم يستطيعوا أن يذكروا لي تعليلاً معقولاً مقبولاً لديّ لكثرة الذباب في المدينة، حتى إنهم ذكروا أنه توجد مزارع لتربية الأبقار ولكنها بعيدة من المدينة.

هـــذا وقـــد غربـــت الشـــمس في السادسة والثلث ونحن لا نزال في أرض المســـجد، وعرفـــنا من ذلك أنها أرض ثمينة للمسلمين ينبغي المحافظة عليها ببناء مسجد صغير وتسويرها، إلا أنهم قللوا من خطر ذهابها من أيدي المسلمين.

تأخر الطيارة:

عـــندما عدنا إلى الفندق بعد المغرب أخبرنا الفندق الذي نسكن فيه وهو فـــندق (مانغروف) أن الطائرة تأخرت ساعة كاملة إلى الثامنة والنصف ولم يكـــن يعرف أننا موجودون في الفندق وإنما فيه أناس آخرون قد حجزوا معنا إلى بيرث هذه الرحلة اليومية التي لا توجد رحلة ليلية غيرها إلى بيرث، وكنا اســـتأجرنا من الفندق غرفتينا يوماً ونصفاً، ومن عادة الفندق أن يحمل نزلاءه بسيارة إلى المطار، لذلك عرف موعد قيام الطائرة.

وعـــندما أتمت الساعة الثامنة ركبنا مع حافلة صغيرة ومعنا عدد من النزلاء إلـــى المطـــار وقد وصلناه بسرعة ولم نجد فيه أي شخص إلا الشخص الذي تسلم الحقائب وقطع التذاكر، ولا غيره أحد لا من الموظفين ولا من الركاب.

ثم أخبرونا أن الطائرة تأخرت نصف ساعة وأنها سوف تصل في التاسعة.

وقد بقينا في المطار مع أننا من ركاب درجة رجال الأعمال، وأنا أحمل جواز سفر (دبلوماسياً) فمللنا الجلوس فيه، وسألنا الرجل الوحيد الذي هو على مكتـــب الترحـــيل عما إذا كانت توجد غرفة مكيفة لأن الحر آذانا رغم وجود المـــراوح في قاعة الترحيل، فأخبرنا بوجود غرفة في الطابق الثاني ووجدنا فـــيها بعض ركاب درجة رجال الأعمال الذين فطنوا إليها قبلنا، ووجدنا فيها مشروبات باردة وحارة وبعض النقل وهو المكسرات.

ثـم أعلنوا بعد ذلك أن الطائرة تأخرت نصف ساعة أيضاً. وأنها ستقوم في التاسعة والنصف، وكنا مشفقين من الانتظار على الإخوة أهل بيرث، لأن مديـر مكتـب الرابطة في أستراليا هتف بنا من ملبورن وأخبرنا أن زعماء المسلمين سوف يكونون في استقبالنا في مطار بيرث.

من بروم إلى بيرث:

قامت الطائرة في العاشرة والربع متأخرة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل ساعتين وربعاً، وهي نفاثة صغيرة تابعة لشركة (أنست استراليا) وفيها أربعة محركات رغم كونها صغيرة.

ركبنا في درجة الأعمال المعتادة، وأعلنوا أن الطيران إلى مدينة بيرث سوف يستغرق ساعتين، و٣٥ دقيقة، وتبعد ١٧٦٠ كيلومتراً جوياً.

قدمـت المضـيفات المجاملات، وليس فيها مضيف من الرجال النقل، وهو كالبسـكويت المحمـص وبعض اللوز، ثم سألن عن الشراب واستغربن ألا يكون غير عصير البرتقال لأن الركاب طلبوا مشروبات ثقيلة غالية عندهم.

وعـندما صاروا يتأهبون لتقديم العشاء أخبرناهم أننا مسلمون وأننا لا نقرب طعامـاً قرب منه لحم الخنزير فأجابوا بأنه لا يوجد لديهم لحم خنزير وإنما العشاء أطعمة بحرية، ثم جاءوا بالعشاء سخياً لذيذاً منوعاً من طعام البحر.

ولم يكن في الرحلة متعة لاستحكام الظلام.

وبعـد ساعتين وربع من الطيران لاحت أنوار بيرث ذات أضواء ساطعة فـي الليل، ولكنها دون أنوار مدينة جدة بكثير، وإذا قارنا شوارع جدة كما تبدو مـن الطائـرة التي تصل إليها ليلاً رأينا أنها لا تداني بل لا تقارب شوارع جدة ذات الأنـوار الصـفر الساطعة والاستقامة التي تصل إلى مسافات طويلة، فهذه شـوارعها الصـفر الأنوار مما تسمى بالهاي وي هي قليلة وقليلة الاستقامة، بل هي متعرجة، ولكن بيرث واسعة المساحة، ممتدة لاتجاهات بعيدة.

في مطار بيرث:

هبطت الطائرة في مطار بيرث في الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق بتوقيت بروم الذي هو توقيت (بيرث) أيضاً لأن المدينتين كلتيهما رغم البعد الشديد بينهما الذي يصل إلى ١٧٦٠ كيلومتراً تقعان في ولاية واحدة هي ولاية غرب أستراليا التي تعادل مساحتها مساحة المملكة العربية السعودية كلها.

وقد استغرق الطيران إلى بيرث ساعتين و٣٥ دقيقة.

وجدت المطار جديداً وواسعاً بعد أن كنت هبطت فيه قبل، ودخلناه من كم متحرك ما لبثنا أن وجدناه مفروشاً بفراش جيد من البساط الموحد الموكيت، وهو جديد كله أو مجدد.

وجدنا في استقبالنا في المطار عدداً من الإخوة المسلمين كبيراً منهم الأخ أيوب خان من قدماء المسلمين في أستراليا ذكر أنه قدم إلى استراليا منذ ٥٧ سنة وأن عمره الآن ٦٧سنة وهو باكستاني، وقنصل فخري لباكستان في بيرث، والمهندس عبدالله مجر من الإخوة المصريين الناجحين في هذه البلاد، والأستاذ حمدي عيد، والشيخ عبدالجليل أحمد مبعوث رابطة العالم الإسلامي في بيرث، والأخ إسماعيل فريدرك.

وقد انتقلنا من المطار إلى الفندق وركبت في سيارة الأخ أيوب خان يتبعها رتل من سيارات الإخوة المسلمين فوجدتهم حجزوا لنا في فندق فخم من فنادق الدرجة الأولى يقع في قلب المدينة الجيد.

يوم السبت: ١٤١٩/٨/١٦هـ- ١٩٩٨/١٢/٥م:

مع زعماء المسلمين:

حضر ستة من زعماء المسلمين إلينا في الفندق في الساعة التاسعة من هـذا الصـباح وكلهم يتكلم العربية إلا اثنين هما أيوب خان وأخ من جنوب إفريقـية هو سكرتير المجلس الإسلامي بغرب أستراليا الذي عاصمته مدينة بيرث، وقد بحثنا معهم أمر البرنامج في هذه الولاية وكنا أزمعنا زيارة مدينة جيرالدتون بالطيارة، إلا أن الإخوة ذكروا أنه لا يوجد إليها طيران مناسب إذْ عليـنا أن نسافر في السادسة صباحاً ونصل في الليل من دون أن يكون هناك أكـثر مـن جمعية واحدة لها مسجد واحد وليست بحاجة إلى مساعدة المسجد لأنـه مكـتمل، واقترح بعضهم أن نزور بدلاً منها مدينة (بورث هيدلاند) في الشـمال الغربـي وتبعد أكثر من ألف كيلومتر على ساحل المحيط لأن فيها مسجداً وجمعية إسلامية ولكنهم أيضاً لا يحتاجون إلى شيء حاجة ظاهرة ولا يوجد طيران إليها إلا إذا أنفقنا يوماً كاملاً.

واستقر الرأي أخيراً على أن نزور هذا اليوم مدينة روكنهام القريبة من بـيرث وأن نزور غداً مدينة كتنغ على بعد ٣٢٠ كيلومتر من بيرث بالسيارة لأنـه لـيس فيها مطار ولكون الأولى يحتاج مسجدها إلى عناية والثانية في مـنطقة تعتـبر نائية ويعتبر مسجدها أول مسجد في المنطقة كما أن القائمين علـيه جماعة من المسلمين ليست من المجموعات المسلمة المعروفة هنا فهم مـن أهـل جزيرة (كوكس) وتعرف باسم (كوكس آيلند) التي تبعد عن بيرث ثلاث ساعات بالطائرة في المحيط الهندي، وكذلك من جزيرة كرسماس.

جلسة في المجلس الإسلامي في بيرث مع أعضاء المجلس

على أن نقضي هذا اليوم بالإضافة إلى زيارة مدينة روكنهام في زيارة المساجد في بيرث.

المجلس الإسلامي لغرب أستراليا:

ذهبنا مع بعض الإخوة إلى مقر المجلس الإسلامي لغرب أستراليا ويقع بجانب مسجد هناك.

وكان الذباب في هذا الصباح المنعش بالنسبة إلى صباحي داروين وبروم موجوداً في قلب المدينة الفاخر النظيف.

ومررنا فوق جسرين على شعبتين من نهر سوان بمعنى البطة أو البجعة وهو نهر بيرث إلا أن مياهه تختلط عند المدينة بمياه المحيط فيصيبها شيء من الملوحة، لذلك لا تستفيد منه مدينة بيرث لمياه الشرب، وإنما تشرب من مكان يبعد ٤٠ كيلومتراً حيث سد أقاموه على بعض الوديان.

ثـم مررنا بحي اسمه (كنغ بارك) أي حديقة الملك أو منتزه الملك، ويراد به – بطبـيعة الحال– ملك بريطانيا الذي لا يزال من الناحية النظرية يحكم أستراليا ويمثله أي الملك وهو الآن ملكة هي اليزابيث الثانية حاكم عام لأستراليا يعينه الملك.

حي وادي النهر:

وصلنا إلى حي اسمه (ريفر فالي) أي وادي النهر ويراد به (نهر سوان) وهـو أشبه بالضاحية القديمة ولكنها جيدة من ضواحي مدينة بيرث ويقع فيه مقر المجلـس الإسلامي لغرب أستراليا، وهو مجلس من عدة مجالس يتألف منها اتحاد المجالس الإسلامية الأسترالية وهو أعلى هيئة تمثل المسلمين في هذه البلاد.

وقـد حضـر أهل روكنهام وعليهم القلانس (الطواقي) كلهم وهم أربعة رئيسهم إنكلـيزي مسلم هو رئيس الجمعية وزوجته ماليزية هي سكرتيرة الجمعية، وذلك ليقدموا لنا الدعوة رسمياً لزيارة مسجدهم فوعدناهم في الحضور بعد عصر اليوم.

صورة تذكارية على مدخل المجلس الإسلامي في بيرث مع أعضاء المجلس على يميني الشيخ عبدالجيل فعبدالله مجر وعلى يساري سكرتير المجلس

ومكاتب المجلس الأعلى بجانب مسجد (ريفرفالي) وهو مبنى يملكه المجلس اشتراه عام ١٩٧٥م وجعله مسجداً يمتلئ يوم الجمعة غير أن الحكومة اقتطعت جزءاً من أرضه من أجل توسعة شارع سريع يسمونه (الهاي وي) وهو لا يصل إلى هذه الرتبة، بل إنه لا يصل إلى نصف مستوى شوارعنا السريعة، وذكروا أن الأرض ستعمل مواقف للسيارات وبهذا لا يكون للمسجد مواقف لسيارات المصلين، وهذا خلاف القانون لذا يودون بيعه كله وشراء مكان أكبر منه وأنسب.

جلسنا معهم في مكتب المجلس فترة اطلعنا على نشاط المجلس وبعض مطبوعاته، وفيه كتب عديدة غير مرتبة، وفيه مكتب مبعوث الرابطة الشيخ عبدالجليل أحمد وهو ماليزي حصل على الجنسية الأسترالية.

ثم انتقلنا لمشاهدة المسجد فوجدناه متوسط السعة مفروشاً بالبساط الموحد (الموكيت) وفيه رفوف فيها كتب معظمها بالإنكليزية ومصاحف وترجمة معاني القرآن الكريم بالإنكليزية.

ذكر الإمام وهو الشيخ عبدالجليل أن المصلين يوم الجمعة هم ٢٥٠ في المتوسط وفي الصلوات اليومية المعتادة (٢٠) في المتوسط أيضاً.

وليست له منارة ولا قبة، لذا فليس له مظهر المسجد ولا يعرف أنه مسجد إلاّ من عُرِّف به من قبل آخرين، لذا رغبتهم في أن يبنوا مسجداً مميز الشكل بمنارة وقبة ذات مظهر معماري إسلامي، لأن ذلك يدل على وجود المسلمين لمن لا يعرفه، ولأنه يستدل به على أنه مركز من مراكز إيضاح الإسلام لمن يريدون أن يطلعوا عليه وهذا أمر مهم في هذه البلاد ذات الأكثرية غير المسلمة.

مسجد السليمانية:

ركبت مع الأخ عبدالله مجر سيارته وهو كما قلت أحد المصريين الناجحين في العمل الإسلامي والعمل التجاري، وسيارته جديدة فيها هاتف

ومعه هاتف جوال أيضاً، ويعمل في شركة أدوية ولكنه ينفق جزءاً كبيراً من وقـــته في العمل الإسلامي، وبخاصة في تعليم أبناء المسلمين، وإن كان ذلك بطـــريقة تختلف عما كنا نفهمه نحن وأمثالنا في هذا الأمر كما سيأتي عندما نزور المدرسة التي يرأسها.

اخترقـنا شوارع، وأحياء جيدة فيها الأرصفة المصونة، والإشارات الكثيرة عن الاتجاهـــات إلـــى درجـــة تظـــن أن فـــيه إســـرافاً والأشجار المغروسة في الأرصفة والشوارع لا تغيب عن عينك فضلاً عن الأشجار والحدائق في البيوت.

والـــزهور كثـــيرة، لأن هـــذا الفصل هنا هو فصل الربيع وهو فصل الخريف عندنا وإن كان آخر الربيع عندهم مثلما هو آخر الخريف عندنا.

وأخبرونا أن الصيف يبدأ عندهم من دخول شهر ديسمبر، وقلنا لهم أن فصـــل الشتاء يبدأ في المنطقة التي نشأنا فيها وهي منطقة القصيم في الثامن من شهر ديسمبر.

ومن الملاحظ أن الأعشاب الموجودة في الحدائق وبجانب الطرق يراها المرء مهذبة مقصوصة كأنما كان معتن اعتنى بها بالأمس.

علـــى أنـــه لا ينبغـــي أن يفهم أن مدينة بيرث في الغاية من التشجير والتزهـــير فالأمـــر لـــيس كذلك وفي أستراليا مدن أحسن منها في هذا الأمر ولكنها إذا قورنت بالمدن العربية أو حتى ببعض المدن الأوروبية الباردة هي أكثر أزهاراً منها.

عند المدخل الخارجي للمدرسة الإسلامية في بيرث بين حمدي وخليل دايان

وصلنا إلى (مسجد السليمانية) أو(سليمانيا جامع) كما كتبوا عليه اسمه وهو مسجد بناه جماعة من الإخوة الأتراك من أهل مدينة (أدرنة) في تركيا.

وجدنـــا فيه الأخ (خليل دابان) أحد جماعة المسجد فأخبرنا أنهم أسموه جامع السليمانية على اسم مسجد في مدينتهم (أدرنة) اسمه جامع السليمانية.

كان ما آنسنا أول الأمر في المسجد منارته الواضحة المتميزة التي جعلته لا يشـــابه أيـــا من المباني في المدينة، وهذا ما جعلني أؤكد على الإخوة المسلمين في بلاد الأقليات بأن يحرصوا على أن يجعلوا للمسجد منارة وقبة متميزة.

وقد بني المسجد على طراز تركي وهو المنحدر من أصل إسلامي من العصـــر الـــذي ســـمي المملوكي، وهو الذي كان فيه ملوك وسلاطين الشام ومصـــر مـــن المماليك الذين جئ بهم في الأصل من بلاد القفجاق وهي برية شاســـعة واقعة إلى الجنوب من جبال الأورال التي تفصل بين قارتي أوروبا وآســـيا وإلـــى الشـــمال مـــن مـــنطقة خوارزم الواقعة في غربي جمهورية

أوزبكستان، وفيها بحيرة (أرال) التي كان أسلافنا العرب يسمونها: بحر خوارزم، وتنتهي إليها مياه النهرين العظيمين في المنطقة، وهما سيحون وجيحون كما كان أسلافنا يسمونهما أو (أمودايا) و(سرداريا) كما يسميان الآن عند أهل تلك الناحية.

ويحدها من جهة الغرب بحر الخزر الذي يعرف الآن ببحر قزوين وتقع جهته الغربية شرق جبال قبج التي تسمى الآن جبال القوقاز.

وأولئك القفجاق الذين هم نوع من الأتراك حاربوا المغول المسلمين الذين جاءوا إلى المنطقة وحكموها بقيادة السلطان المسلم (بركة) خان بن جورجي خان بن جنكيز خان، وهو ابن عم الطاغية السفاح هولاكو، وقضوا على أولئك القفجاق إلى درجة أنهم باعوهم مماليك في البلدان الأخرى ومنها البلدان العربية حيث وصلها بعضهم جنوداً مماليك ثم وصلت بهم الأمور حتى حكموها وتألفت بهم ما كانت تسمى بدول المماليك في مصر والشام.

ومسجد السليمانية هذا جميل ونظيف غاية النظافة، ومنسق تنسيقاً كاملاً وله فناء واسع فيه مواقف لعدة سيارات، وقد شجروا أطرافه تشجيراً خفيفاً، ولكنه وفق ذوق رفيع، وعليه لوحة البداءة بعمارته مؤرخة في ١٩٨٤/١١/٢٥م.

أما داخل المسجد الذي هو المصلى الرئيسي فإنه مفروش بالبساط الموحد (الموكيت) كله، أشبه ما يكون بقطعة واحدة وهو في غاية النظافة.

وفيه قسم للنساء واسع مفصول عن قسم الرجال، ملحق به مطبخ ذكروا أنهم أعدوه ليستعمله جماعة التبليغ إذا جاءوا إلى هذه البلاد، كما أنهم يطبخون فيه الطعام في المناسبات مثل الإفطار في رمضان.

وفي غرفة أخرى فصل دراسي جعلوا مقاعده على هيئة حلقة كأنما ذلك تشبه بحلقات الدروس التي كان يلقيها العلماء في القديم، وفيه قاعة للاجتماعات متوسطة السعة.

مع الأخ خليل دايان عند منبر مسجد السليمانية في بيرث

أما إمام المسجد فإنه مبعوث إليهم من رئاسة الشئون الدينية في تركيا، وهي التي تدفع راتبه، واسمه (عبدالقادر قايا)، وذكرت بهذه المناسبة أن رابطة العالم الإسلامي كانت تدفع عندما نقل عملي إليها رواتب عشرة أئمة بعثتهم إدارة الشئون الدينية في تركيا إلى أستراليا وطلبت إلى الرابطة أن تدفع رواتبهم معونة منها لهم، وظلت الرابطة على ذلك إلى أن اكتشف أن بعضهم يسب من أسموهم الوهابية ويحمل أفكاراً محرفة عن بلادنا ومبادئها فأعادت الرابطة النظر في ذلك وأوقفت رواتب الأئمة إلا الذين عرفتهم، وصاروا يراجعونها فيما يتعلق بالعمل.

وفي سقف المسجد ثريات ثمينة جميلة فتح لنا الأخ خليل دايان من أزمير في تركيا خزانة صغيرة أرانا جبة الإمام وطربوشه حوله عمامته التي يعتمرها إذا حضر للصلاة، ثم يخلعها إذا آثر الخروج من المسجد.

وقد عجبت حينما رأيت فيه منبراً خشبياً كبيراً محكم الصنع، فسألت عنه فذكروا أنه من صنع مسلم قبرصي صنعه بناء على رسم أعطاه إياه إمام المسجد.

ويقع المسجد في حي كاتننغ، وتشرف عليه جمعية إسلامية تركية عدد

أعضائها سبعون شخصاً يدفعون اشتراكاً شهرياً ينفق منه على ما يحتاجه المسجد.

ونوه الأخ خليل بأن أعضاء الجمعية مع أناس آخرين متبرعين بنوا المسجد.

ويعتبر هذا المسجد ثالث المساجد إنشاء في مدينة بيرث، والأول هو مسجد بيرث الآتي ذكره.

المدرسة الإسلامية:

كان الهدف من جولتنا الآن الذهاب إلى المدرسة الثانوية ويسمونها (الكلية الإسلامية الأسترالية) وهي ابتدائية وثانوية أهلية تطبق المنهج الحكومي إلى جانب منهج إسلامي، ومن المنهج الحكومي تعلم العربية، لأن اللغة الأجنبية إذا كان معترفاً بها من الحكومة الأسترالية- والعربية كذلك- فإنها تعتبر من المنهج الحكومي.

رأينا لافتة المدرسة تعلوها البسملة: (بسم الله الرحمن الرحيم) تحتها (الكلية الإسلامية الأسترالية) ثم اسمها بالإنكليزية وتقع في حي (ثورنلي).

أنشئت في عام ١٩٨٧م وتضم الآن ١٢٢٧ طالباً وطالبة ٩٩% منهم من أولاد المسلمين، مع أنهم لا يستطيعون أن يمنعوا أي طالب من الالتحاق بها إذا كانت تتوفر فيه الشروط. لأن هذا من الأشياء التي التزموا بها للحكومة الأسترالية من أجل أن تساعدهم.

ذكروا أن أبناء المسلمين يأتون للدراسة فيها حتى من أماكن بعيدة لأنها تهتم بتربية الطلاب تربية إسلامية، إلى جانب تعليمهم تعليماً يؤهلهم لمواصلة دراستهم في الجامعات الأسترالية لأن الحكومة تعترف بالشهادات التي تصدرها.

ورئيس المجلس الذي يشرف عليها هو الأخ المهندس (عبدالله مجر) سألته عن معنى اسمه فقال ضاحكاً: إنه مثل لفظ المجر الموجود في شرق أوروبا وإن بعض الناس يداعبونني بزعمهم أنني مجري الأصل ، ولكن لدى أسرتنا أدلة على أن (مجر) هذا شخص عربي، وهو من أهل المنصورة في مصر.

كيف أنشئت المدرسة؟

كـــان الأخ المهـــندس (عبدالله مجر) يحمد الله ويشكره وهو يحدثنا عن واقع المدرسة ويقول: إننا لم نكن نظن أنها ستبلغ ما بلغته.

وقـــال يحدثنـــي عن بدايات المدرسة: كان رجل مسلم غير صالح من العـــرب طلـــق زوجته، بسبب سوء سلوكه وله منها بنتان إحداهما في الثامنة عشـــرة والثانية في العاشرة، وابن في السادسة عشرة وترك أولاده مع أمهم وسافر إلى بلدة أخرى في أستراليا حيث انقطعت صلته بهم.

فقـــدر الله علـــى الأم أن ماتت، قال: فاجتهدنا في تجهيز جنازتها لأننا الجهـــة الوحـــيدة التـــي تهتم به، ليس لها من يهتم بها من المسلمين وهو من الجمعية الإسلامية التي هي عضو في المجلس الإسلامي لغرب أستراليا.

قـــال: وبعـــد يـــوم أو بعـــض يوم من دفن الأم ذهبنا لنطمئن على حالة هؤلاء الأولاد الذيـــن يحـــتاجون إلى رعاية فوجدنا البنت الكبيرة معها صديقها ومعناه: الذي تفسد معه، والابن معه صديقته الأسترالية في البيت، والبنت الصغيرة تخدم الجميع.

قـــال: وكان ذلك يوم الجمعة وكنت متوجهاً لصلاة الجمعة فدعوت الله تعالى في المسجد وبكيت كثيراً أن يوفقنا إلى عمل يصون أولاد المسلمين من تربيتهم تربية غير إسلامية وأكثرت في الدعاء والبكاء.

قـــال: وبعـــد أن انقضت الصلاة وخرجت من المسجد رأيت لافتة على مبنى تقول (المدرسة للإيجار) ووقع في ذهني أن أستأجر هذا المبنى الذي هو مدرســـة معترف بمكانها من الحكومة فاستأجرته مع أحد الإخوة، ولم نكن في ذلـــك الوقـــت على استعداد لدفع الأجرة، ولكن الله سبحانه وتعالى يسر حتى تطـــور الأمـــر إلـــى أن اشترينا هذا المبنى الواسع الذي ندخله الآن وسوف تشاهده كله بعد قليل.

وســألته عــن واردات المدرســة، فذكر أنها لا يمكن حصرها بالماديات، وإنما تأتي تبرعات لم نكن نحتسبها من بعض الإخوة في آخر العام.

قــال: والطلــبة لا يدفــع الأقســاط منهم إلا ١٠% أما البقية فإنهم لا يســتطيعون لأنهم لاجئون فيهم أناس من الصومال وإرتيريا والحبشة، ولكن الدولة تساعد الذين لا يستطيع ذووهم أن يدفعوا فتدفع عنهم.

وذكر أن الحكومة تدفع نفس رواتب مدرسي المواد المدنية.

والغريــب أنــه ذكــر أنــه يوجد في المدرسة نحو مائة مدرس ٦٠% منهم مســلمون وقــد علقــوا لوحــة في مدخل المدرسة فيها صور المدرسين وأسماؤهم وكــبار المسئولين على رأسهم مدير المدرسة الدكتور (مارك ديبوسكي) وهو رجل تربــية وتعلــيم مشــهور فــي هــذه البلاد، ذكر الإخوة أنه أسلم بعد أن عاش مع المســلمين فــي المدرســة وذكروا أن إسلامه ليس حباً في البقاء في المدرسة لأنه يحمل مؤهلات تربوية مهمة، والعمل لمثله متوفر في الحكومة وغيرها.

وذكــر الأخ عبدالله مجر أن حصول المدرسة عليه يعتبر معجزة لأنه مشهور، ورضي بأن يأتي إلى المدرسة الإسلامية بأقل من الراتب الذي كان يتقاضاه في مدرسة كان مديراً لها.

قال: والسبب في ذلك أنه شعر أن المسؤولين في تلك المدرسة قد وظفوا رجلاً لا يستحق تلك الوظيفة فكره البقاء عندهم وجاء إلى مدرستنا براتب أقل ولكــنه درس الإســلام بعد ذلك، وأعلن أنه قد اقتنع به، إلا أنه قال للمهندس عــبدالله مجر: أنا درست الإسلام وأخشى ألا أكون مسلماً حقيقياً بمعنى أنه لا يثق بنفسه أن يطبق الإسلام كله عليها وعلى غيرها.

قــالوا: فقال له المسلمون: كلنا كذلك فأسلم وصار يمدح الإسلام للناس أكــثر ممــا يفعله المسلمون الأصلاء، وأروني بين المدرسين صورة معلمة يهودية فيها أنها أسلمت، وأرونا صورة مدرس إنكليزي أسلم أيضاً قبل سنة، وهؤلاء من مدرسي المدرسة.

ولا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن أن إسلام مثل هؤلاء طمعاً في الوظيفة، فالمؤهلون تربوياً لهم سوق رائجة، ثم إن الدولة بقوانينها المرعية تكفل لكل شخص حقه، فلا ينال من يسلم منهم شيئاً دنيوياً لم يكن يناله إلا بذلك، كما أن الحرية الدينية، بل عدم المبالاة بالمعتقد الشخصي للمرء في علاقاته مع الآخرين هو السائد، وقد أخبرني عدد من الإخوة المسلمين أنهم فيما يتعلق بمدرسي المواد المدنية لا يبالون هم وغيرهم بدين المدرس، لأنه لا يدخل شيئاً من أمور دينه في الدرس.

وذكر المهندس (عبدالله مجر) وطائفة من العاملين في المدرسة يسمعون أن ميزانية المدرسة السنوية بلغت ٤ ملايين دولار، وأنها سددت كلها من التبرعات ومن دخل المدرسة مع أنهم لم يكونوا ولا المتفائلون منهم وغيرهم يظنون أن الأمر يكون كذلك أول الأمر.

جولة في الكلية الإسلامية:

هكذا اسمها (كلية) مع أن مستواها هو الثانوي، ولكن هذا اصطلاح لهم في هذه البلاد يسمون ما كان فيه أكثر من مرحلة من مراحل الدراسة كلية، وهكذا يسمي أهل الأديان الأخرى مدارسهم من هذا المستوى كلية، وهذه المدرسة فيها ابتدائي وثانوي.

فالدراسة في الابتدائي هي سبع سنين، وفي الثانوي خمس، وهذا يساوي من حيث الزمن ما نفعله نحن من وجود ٦ سنوات للتعليم الابتدائي و٣ للمتوسط و٣ للثانوي.

مضينا في جولة على المدرسة في صحبة عدد من الإخوة فرأينا فصول الدراسة مجهزة كلها بالحاسب الآلي (الكمبيوتر) وبأجهزة التلفزة، وفي بعض الفصول سماعات لمعمل تعليم اللغة.

مع عبدالله مجر في مكتبة المدرسة الإسلامية في بيرث

ثـم المكتـبة وهي واسعة كثيرة الكتب معظم الكتب فيها بالإنكليزية، وقالوا: نحـن نحتاج إلى الكتب بالإنكليزية أكثر مما نحتاجها بالعربية وهذا صحيح بالنسبة لعامـة المدرسين والطلاب، ولكن بالنسبة إلى المراجع للمدرسين الباحثين فإنهم لا يستغنون عن المراجع العلمية في كتب التراث.

وفـي المكتـبة وحدها ٢٩ جهاز كمبيوتر، وذكروا بهذه المناسبة أنهم يملكون في المدرسة ٢٥٠ جهاز (كمبيوتر).

ذكـروا أن هذه المدرسة كانت مدرسة كاثوليكية باعها أهلها للمسلمين، لأنهـم لم يجدوا العدد الكافي من الطلاب لها، بمعنى أن عدد الطلاب تناقص لكون عدد الأولاد نقص.

هكـذا قالوا: ولا أدري صحة ذلك لأن كثيراً من المسلمين في عدة مدن أسـترالية ذكـروا لنا أن الحكومة صارت تبيع المدارس لنقص التلاميذ الذين يلـتحقون بها لنقص المواليد، وفي بعض الأماكن تجمع الحكومة عدة مدارس في مدرسة واحدة لنقص التلاميذ، ثم تبيع المدارس الزائدة.

وأرونـــا عـــدداً مـــن الفصول الجديدة بنوها لكثرة أولاد المسلمين الذين التحقوا بالمدرســـة، وممـــا أثلج صدورنا أن رأينا جماعة من بنات المسلمين من الصوماليين والإريتريـــن وغـــيرهم عليهـــن اللـــباس الساتر يدرسن في هذه المدرسة التي عجبنا لمظاهر التربية الإسلامية التي لو لم يكن فيها إلا هي لكفى.

مسجد المدرسة:

ويســـمونه جـــامع المدرسة وهو واسع أكثر سعة من كثير من المساجد التي تقام فيها الجمعة في هذه البلاد، وهم يقيمون فيه الجمعة بالفعل ويصليها معهم فيه عدد كبير من المسلمين.

أدركـــناهم يقيمون الصلاة فصلينا معهم الظهر وجمعنا معها العصر. ورأيت فـــيها التلاميذ حتى الصغار يؤدون الصلاة مع الكبار وهم من جنسيات متعددة من عرب إلى أفغان وصوماليين وإرتريين وبيض أستراليين.

والمســـجد عريض يبلغ عرض الصف فيه ٦٠ متراً ذكروا أن الصف الواحـــد مـــنه يصـــلي فيه ١٢٠ مصلياً ولكنه ليس عميقاً أي ليس طويلاً بل عرضه رغم ما توحي به هذه اللفظة أكثر من طوله، لأن مرادنا من العرض والطول هنا ما يكون يمين مكان الإمام ويساره، وإن كان أطول مما خلفه إلى نهاية المسجد من الجهة المعاكسة للقبلة.

سلمنا على الإمام فأخبرنا أن الذين يصلون الجمعة فيه يبلغ عددهم ٦٠٠ والذين يحضرون الصلوات اليومية ما بين ٢٠ إلى ٤٠ مصلياً.

كما قابلنا المؤذن وهو تركي متدين حاصل هو وأولاده على الجنسية الأسترالية.

الصوماليون بين فنلندا وأستراليا:

ذكـــرت مـــثلاً عامـــياً شائعاً في بلادنا يقول: "بينهم مثل ما بين سهيل والجـــدي" وســـهيل نجم جنوبي مشهور نسميه في بلادنا بالنجم اليماني، لأن مطلعه من جهة اليمن ويرى دائماً في تلك الجهة أما الجدي فإنه نجم شمالي.

وهـو نجـم ثابت الموقع بالنسبة إلى رؤية أهل شمال الأرض لا يبرح مكانه، وإن كان يسبح في فلكه بسرعة كبيرة مثل غيره من النجوم والكواكب التـي قال الله سبحانه وتعالى في أمثالها ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ وهو كبير جداً، إلا أنه بعيد جداً.

وقـد ذكـرت هذا المثل عندما رأيت الإخوة الصوماليين والإرتيريين في هذه الـبلاد الأسترالية البعيدة جنوباً، بل إن اسم (أستراليا) مأخوذ من الجنوب لأنه معناه الجنوبـية باللغـة الألمانـية، وهم في جو معتاد من حيث الحر والبرد، بل إن الجو الصـيفي الآن يشبه الجو في بلاد الصومال، وما رأيتهم عليه والمراد بذلك إخوانهم مـن الصـوماليين فـي مديـنة هلسنكي عاصمة جمهورية فنلندا في أقصى شمال الأرض، حيـث الـبرد الفظـيع، وكنت رأيتهم كذلك خلال زيارة وصلت فيها إلى فنلندا في آخر شهر أكتوبر والثلج ينزل.

فقلت عند ذلك: لا حول ولا قوة إلا بالله، هل قضي على إخواننا الصوماليين أن يبـتعدوا في هذه المساحة الشاسعة من الأرض نتيجة خلافات قبلية، وطموحات شخصية ومصالح ذاتية لمجموعات وأشخاص منهم؟

وقـد تحدثـت إلـى عدد منهم في المسجد ومع غيرهم ممن حضروا للصلاة، وربما كانوا حضروا لرؤية أولادهم الذين يدرسون في المدرسة، لأن الفقراء منهم لا يمنعهم الفقر من الحاق أولادهم في مثل هذه المدرسة الراقية، لأن مـن لا يستطيع منهم أن يدفع للمدرسة تدفع عنه الحكومة الأسترالية، بل قـيل لـنا بعد ذلك إن الحكومة الأسترالية تدفع إلى المدرسة مساعدة عن كل طالب من الطلبة سواءً أكان غنياً أم فقيراً.

ومـن فوائـد الجماعة أنني قابلت في المسجد أخاً عزيزاً يسكن في بلاد نائية مـن جـنوب أستراليا هي جزيرة تسمانيا الكبيرة، وكنت قابلته منذ نحو ست عشرة سـنة في مدينة هوبارت عاصمة الجزيرة، وكان آنذاك رئيس الجمعية الإسلامية في تسمانيا وقدمنا مساعدة لمسجدهم، وقد عرفني قبل أن أعرفه.

هــذا وقد ذكرت ما يتعلق بزيارتي لتسمانيا في كتاب: (إطلالة على نهاية العالم الجنوبي) الذي طبعه النادي الأدبي في مكة المكرمة، ونفدت نسخه منذ سنوات.

وقد صعدنا من المسجد في الطابق الأرضي إلى فصول دراسية ومكاتب في الطابق الثاني ثم تجولنا في فناء المدرسة وفي مبنى مجاور اشتروه حديثاً.

وقلــت لهــم: ألــم يشك أحد من جيرانكم من وجود المدرسة الإسلامية بجانب منازلهم؟

فأجــابوا: إن أحدهــم شكا للحكومة ولكنها لم تسمع شكواه، لأنها كانت مدرســة سابقة مرخصة من الحكومة، ومن جهة كونها إسلامية فالحكومة لا تقر التفريق بين الأديان والمذاهب على مستوى رسمي ولذلك لم تسمع شكواه مــع أنهــم يحاولون ألا يصل إلى جيرانهم أي أذى منهم، وبخاصة أن أفنية المدرسة واسعة والطلاب يجدون فيها ما يشغلهم.

ولاحظــت وجود أماكن لكرة السلة في فنائها وحافلة مكتوباً عليها اسم المدرسة يحضرون الطلاب من منازلهم البعيدة، وهذا كله بأجر.

وقــد خرجــنا مــن المدرســة معجبين، وعرفت بعد ذلك أن المدارس الإسلامية من هذا النوع قد تعددت في المدن الأسترالية بسبب التسهيلات، بل والمعونــات السخية التي تقدمها لها الحكومة الأسترالية، تماماً مثلما تقدم ذلك للمدارس المسيحية سواء بسواء ومن دون تفريق.

مجموعة المطاعم:

حان موعد الغداء، فغادرنا حي (ثورنلي) الذي تقع فيه المدرسة وانتقلنا والإخــوة معــنا إلــى مكان واحد كبير فيه مجموعة من المطاعم، كل مطعم لطائفــة مــن الــناس فهنا المطعم الصيني وآخر ياباني وثالث هندي ورابع ماليزي وخامس سنغافوري وهو للمسلمين السنغافوريين وهو الذي تغدينا فيه، وقد وجدناه مزدحماً.

وكلهـــا مطـــاعم تعتـــبر شعبية إذ المائدة التي كنا عليها ونحن ثمانية كانت فيها مقاعد خشبية مستطيلة متصلة كل مقعد يتسع لخمسة أشخاص على هيئة صف واحد.

وقـــد قدمـــوا طعاماً جيداً منوعاً وأهم من ذلك أنه حلال بلال فيه لحم الغنم والدجـــاج والســـمك، وليس فيه من العيوب إلا كثرة الفلفل الحار، وزيادة قليلة في الدســـم، وكـــان رخيصاً أيضاً بالنسبة إلى المطاعم المعتادة، وهو أيضاً سريع لأن الطعام فيه لابد أن يكون معداً من قبل، وهذا مهم لنا من أجل كسب الوقت.

أول مسجد في بيرث:

عند مسجد بيرث مع الأستاذ رحمة الله بن عناية الله

انتقلـــنا بعد ذلك إلى زيارة (مسجد بيرث) ويسمونه هكذا (بيرث مسجد) لهـــذا المعنى وهو بالفعل أول مسجد أقيم في مدينة بيرث، هذه المدينة المهمة التـــي هـــي عاصمة الغرب الأسترالي وهي مركز الإدارة بالنسبة إلى ولاية غرب أستراليا التي تبلغ مساحتها مثل مساحة المملكة العربية السعودية كلها، وهـــي أكـــبر الولايات الأسترالية مساحة، وإن لم تكن أكثرها سكاناً، إذْ يبلغ عدد السكان فيها مليوناً وسبعة عشر ألف نسمة.

وهذا عدد قليل بل ضئيل بالنسبة إلى هذه المساحة الكبيرة.

ويقـــع المسجد في قلب مدينة (بيرث) القديمة، بل الأصيلة ولذلك عدنا إلى قلبها، فتجاوزنا الجسر المقام على (نهر سوان).

لقـــد سبقت لي رؤية هذا المسجد عند زيارتي الأولى لمدينة بيرث عام ١٤٠٣م- ١٩٨٣م، ولكننـــي لم ألبث فيه إلا قليلاً، فقد وجدت فيه جماعة من أهلـــه ممـــن أنكروا عليّ أن ألتقط صورة للمسجد، بل إنهم ذكروا أنهم سوف يمنعونني من ذلك بالقوة وما كنت لأفعل ذلك.

وعرفت أنهم قوم من المتشددين فيما يعتقدونه من جهة التصوير وغيره حـــتى فـــي ملابسهم فهي العربية وعليهم العمائم، واستنكروا أن يكون عليّ اللباس العالمي المسمى بالإفرنجي.

ولذلـــك حرصـــت على زيارته وبخاصة أنه قيل لي في ذلك اليوم: إنه المسجد الوحيد في بيرث، وقد ذكرت ذلك في كتاب (مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية) وهو كتاب مطبوع.

لقـــد بنـــي هـــذا المسجد واستعمل للصلاة في وقت مبكر من تاريخ وصول المســـلمين إلـــى هذه البلاد الأسترالية التي هي حديثة التاريخ، بل ربما صح القول بأنـــه لـــيس لها تاريخ قديم مطلقاً، لأن الشعب الذي كان يسكنها وهو (أبورجنس) شعب لا يقرأ ولا يكتب، وليس له مخلفات مفيدة تاريخياً لهذا السبب.

فقــد قرأت لوحة تبين أول افتتاحه وأنه يوم الاثنين ١٥ رمضان ١٣٢٣هـ وذلك في لوحة باللغة البوشتية بالحروف العربية.

وقد بناه الإخوة الأفغان الذين كانوا أول المسلمين وصولاً إلى هذه البلاد.

وإن المــرء ليعجــب مــن كون أولئك الإخوة الأفغانيين جاء بهم الإنكليز إلى أســتراليا من أجل شق الطرق البرية في المناطق الشبيهة بالصحراوية وفي غيرها من أجــل مــدّ الســكة الحديدية فجاءوا معهم بإبلهم لأنها الحيوان الوحيد القادر على حمل الأشــياء الثقــيلة في هذه القارة التي كانت خالية من أي نوع من أنواع الحيوان الذي يحمل الأثقال، فلم يكن فيها خيل ولا حمير، ولا بغال، ولا إبل- بطبيعة الحال.

المؤلف في محراب مسجد بيرث

ومـــع ذلـــك حمل أولئك الإخوة دينهم على أن يؤسسوا مساجد في كل مديـــنة مـــن المـــدن الكبيرة مسجد، كما بنوا مساجد في أماكن أخرى كانت معمورة في عهدهم، وذهبت عمارتها، وذهبت معها تلك المساجد.

وهـــذا المســـجد يعتبر ثاني المساجد بالنسبة إلى المساجد التي بنيت في المـــدن الأســـترالية المهمة، فالمسجد الأول هو مسجد أديلايد، فقد بني مسجد أديلايد في عام ١٨٩٥م وبني هذا المسجد في عام ١٩٠٥م وثالث مسجد بني في برزبن عام ١٩١١م.

وهذه المساجد بناها كلها الأفغان، هذا هو الشائع المعروف ولا ندري ما إذا كان وجد أثرياء من المسلمين من غيرهم ساعدوا على بنائها، والأغلب أنه لم يكن يوجد أحد من هؤلاء كما أننا لا نعرف ما إذا كانت الحكومة الأسترالية آنـــذاك قـــد ساعدت على بناء هذه المساجد، لأنهم شعروا وما زالوا يشعرون بالامتـــنان للأفغان على ما قاموا به من أعمال تتطلب جهوداً شاقة مضنية لا يقوى عليها الرجال البيض لعدم تحملهم المشقة والتعب، ولا يمكن أن يقوم بها السكان الأستراليون الأصلاء، لعدم تعودهم على العمل وعدم صبرهم عليه.

المؤلف في (وليم استريت) الشارع الذي يقع عليه مسجد بيرث

هـــذا وقد زرنا أول الأمر التوسعة الجديدة للمسجد وهي ملاصقة له، لا تغـــير مـــن مـــنظره ولا من مخبره شيئا لأن الحكومة الأسترالية تعتبره من المبانـــي التاريخية التي لا يجوز المساس بها، حتى إذا احتاج إلى ترميم فإنها تنفق عليه، ويكون ذلك تحت إشراف المختصين بالآثار فيها.

والمبـــنى الجديـــد قوي بالأسمنت المسلح، وعلى طراز عربي إسلامي وتقوم عليه لجنة يرأسها الأخ أيوب خان الذي سبق ذكره، وهو قنصل فخري لباكستان في بيرث، ومن زعماء المسلمين البارزين في أستراليا وتتعاون معه الســـفارة الســـعودية فيما يتعلق بالأمور الإسلامية، ومن ذلك إصدار شهادات الذبح الحلال للحوم التي تصدر إلى المملكة، وتستفيد الجمعية التي يرأسها من ذلـــك لأن لها رسماً قليلاً مقرراً على كل ذبيحة تختم عليها بأنها ذبحت على الطريقة الإسلامية.

ثم انتقلنا إلى داخل المسجد القديم الذي هو باقٍ على ما هو عليه منذ أن بنـــي قـــبل أكثر من تسعين سنة، فوجدناه ضيق المساحة نسبياً، وقد قسم إلى قسمين أمامي وخلفي بينهما باب كما هي عليه الحال بالنسبة إلى المساجد في المـــناطق الشمالية من الأرض، مثل بلاد الروس وبلاد من نسميهم في بلادنا بالبخاريين وهم سكان ما وراء النهر.

وللمســـجد منارات قصيرة عديدة مثلما عليه الحال في المساجد الشعبية فـــي أكثر بلاد الهند من شمالها إلى جنوبها، أما سقفه فإنه من الخشب ولكنه مكسو بنقوش إسلامية الطراز جميلة.

ويقـــع المسجد على شارع وليم (وليم استريت) من بيرث القديمة، وهذه المنطقة من بيرث القديمة هي في غاية النظافة والترتيب فالشوارع كلها ذوات أرصـــفة جمـــيلة مصانة، وقد خرموا حافاتها من أجل عربات الأطفال التي يحملهم فيها أهلوهم ويدفعونها على الأرض.

وقد أكثروا فيها من كتابة الإشارات التي تبين الطرق والاتجاهات.

وفـــي أكثر بيوتها رغم قدمها حدائق وأشجار بعضها مزهر لأن الفصل هـــنا- كما قلنا- هو آخر فصل الربيع وأول فصل الشتاء وشتاؤهم ليس بارداً بل هو معتدل.

مسجد ماري:

هكـــذا ذكـــروا لنا اسمه واستغربناه، وقال أحد المرافقين: إنه مسجد السيدة مريم فماري عند الإنكليز أهل هذه البلاد هي (مريم) فقلنا: هذا صحيح ولكن لماذا لا يكون اسمها هنا (مريم) كما سماها الله تعالى في القرآن؟

وصـــلنا إلـــى المسجد فتحققنا مما كانوا ذكروه لنا وهو أنه كان كنيسة اشتريت وحولت إلى مسجد من ناحية الاسم أما من ناحية الشكل فإنها لا تزال باقية على ما كانت عليه أو قريباً من ذلك، فقد رأينا اسم الكنيسة لا يزال باقياً عليها لكنها تمكن قراءته وقد حاولوا طمسه ولكنهم لم يخفوه وهو (سان بول) وهـــي كنيســـة سان بول، بمعنى القديس بولص عندهم وهي انجليكانية، كما نراهم صنعوا فيه محراباً.

ولم تمض على شرائه إلا ١٨ شهراً.

وعـــندما دخلـــنا تحققنا من أن القائمين عليه من الشيعة ولأنه يحفل بلوحات من القمـــاش والســـجاد كلها تدل على ذلك، بل تتجاوزه إلى ما لا يجوز، لاسيما إذا اعتقده كاتـــبه، أو مـــتخذه، ومـــن ذلـــك لوحة قماشية كبيرة تقول باللغة الفارسية وبالحروف العربية: (يا مهدي جهان در انتظار) أي أيها المهدي العالم في انتظارك.

ولوحـــة أخـــرى كبـــيرة تقول (لإمامة المهدي المنتظر وسيلة في قرب الفرج) وأكثر من لوحة تدعو الحسين بن علي رضي الله عنه مثل (يا حسين سمشده) ولا أدري معنى هذه الكلمة الأخيرة.

ولوحة أخرى عن المهدي نفسه (من أنكرني فإنه أكفر من ولد نوح عليه السلام).

وهكـــذا فـــيه لوحات فارسية لم نعرف منها شيئاً مع أننا لم نر فيه أحداً من الإيرانييـــن، وإنمـــا قابلـــنا فيه اثنين من العراقيين الشيعة الذين كانوا لاجئين في المملكـــة العربية السعودية في مخيم رفحا في شمال بلادنا للاجئين العراقيين الذين فروا من العراق عقب فشل محاولة منهم للانقلاب على الرئيس صدام حسين.

وقـــد حدثونا أنهم بقوا سنوات عديدة في المخيم، وأن الحكومة السعودية توفـــر لهـــم أشـــياء كثيرة فيه. وإنهم جاءوا إلى استراليا لاجئين كانت الأمم المـــتحدة قـــد اتفقت مع حكومة استراليا على أن تستقبلهم، سعياً وراء استنفاد هؤلاء اللاجئين من المخيم بتوزيعهم على أنحاء العالم.

وبعضـــهم عادوا منه إلى العراق من تلقاء أنفسهم على مسئوليتهم، وعاشوا هناك من دون أن تفعل لهم السلطات شيئاً، إلاّ أنها تراقبهم كما قالوا لنا الآن.

ولـــم نبحـــث معهـــم فيما يتعلق بالمذهب الشيعي، لأنهم من المعروفين بالتمسك بالمذهب الشيعي وصعوبة تحولهم عنه، ولكونهم ليسوا من طلبة العلم الذين يمكن أن يكون البحث معهم بحثاً علمياً.

ذكـــروا أن قـــيمة هذه الكنيسة ٨٠٠ ألف دولار، وذكر غيرهم أن أحد الأثرياء الإيرانيين تبرع بالمبلغ كله، ومع ذلك ذكروا لنا أنهم يفكرون في هدم المبنى وإنشاء مسجد بديل منه.

وقـــد سألناهم عن عدد الذين يحضرون الجمعة فذكروا أنهم ما بين ٢٠ إلى ٣٠ رجلاً.

وظنـــي أن ذلك ربما يكون راجعاً إلى عدم إقامة صلاة الجمعة، وإنما يصـــلونها ظهراً أخذاً من المقدم في المذهب الشيعي بأن الصلاة لا تصح إلاّ خلف إمام معصوم غير أنه في عهد الخميني أقيمت صلاة الجمعة في إيران.

ويقع في حي (فانيلا) وهو حي حسن بيوته من طابق واحد، تتقدمها كلها حدائـــق أكثرها مزهر، وأرصفة عريضة قد زرعوا الأعشاب في جزء منها فأصـــبح الرصيف كأنما هو جزء من حديقة، وذلك شامل للأرصفة فيه كلها،

وهو أمر موجود في غيره من الأرصفة، وإن لم يكن ذلك شاملاً لكل الأحياء.

وحـــدود حي فانيلا متصلة بمنطقة خلوية رأيت فيها تلالاً رملية صفرا لما أبديت ذلك للإخوة المرافقين قالوا: إن بيرث تعتبر منطقة رملية.

مسجد التقوى:

وصلنا حياً غريب الاسم، ذكر أن اسمه من لغة السكان الأصلاء يسمى (ميرا بوك) تظرف المسلمون وذكروا أن معنى الاسم أو لفظه هو (من ربك)؟

ووقفنا عند مسجد (التقوى) في الحي المذكور وتشرف عليه جمعية نور الإســـلام العاملـــة فـــي هذه المنطقة، والمسلمون فيها مختلطون معظمهم من المهاجرين من جنوب إفريقية، وقد هاجر أكثرهم عندما كانت تلك البلاد تطبق سياسة التمييز العنصري، وفيهم عرب بل هم الذين بلون الإفريقيين الجنوبيين في الحي، وقد بني المسجد منذ سنتين من تبرعات محلية من أعضاء الجمعية الإسلامية، ومن غيرها.

مسجد التقوى في بيرث

ويحتاج إلى دورة مياه للنساء، وفصول لتعليم الأطفال مبادئ الإسلام، والحروف العربية، كما أنهم يحتاجون إلى إمام متفرغ يؤمهم في الصلاة، ويرشد كبارهم، ويعلم صغارهم.

وجدنا الأخ الكريم (إسماعيل فريد ركز) رئيس جمعية نور الإسلام التي تشرف على المسجد وهو من أهل جنوب إفريقية، وقد صار لنا مرافقاً نافعاً بعد ذلك كما سيأتي، وهو من مدينة الرأس أي كيب تاون في جنوب إفريقية.

ذكروا أن المسجد يمتلئ بالمصلين يوم الجمعة، مع أنه جديد وأنه متوسط السعة، فليس بالصغير ويحضر الجمعة فيما قالوا ٣٠٠ مصلٍ، أما الأوقات الأخرى فالمغرب يصلي معهم في المتوسط ما بين ٥٠ إلى ٤٥، والأوقات الأخرى أقل من ذلك.

وقد أخبرونا أنهم اشتروا المسجد بمائة وخمسين ألف دولار جمعوها من التبرعات، وأنهم بنوا المسجد أيضاً بناء مكلفاً على طراز العمارة الإسلامية، وقد سقفوه بالصفيح القوي المربوط بأعمدة من الحديد الصلب، ثم عزلوا سقفه عن المطر ومظهره من الخارج جيد ومشرف.

هذا وقد جلسنا معهم في المسجد وحضر بعض أهل الحي الذين يصلون في المسجد فطلبوا منا المساعدة على ما يحتاجون إليه مما ذكرته فوعدناهم بذلك، وطلبنا منهم أن يقدموا طلباً مكتوباً يشتمل على ذكر كل ما يريدون قوله في هذا الصدد.

مدرسة للبيع:

بعد الفراغ من زيارة مسجد التقوى مررنا بحي اسمه (ديانلا) فيه مدرسة كانت حكومية قررت الحكومة بيعها، لأنه لا يوجد أطفال حولها، لقلة النسل عند الأستراليين البيض في السنين الأخيرة، وقد باعتها بالفعل على اثنين من المسلمين اللذين قررا أن يجعلوها مدرسة إسلامية على غرار المدرسة التي زرناها وتحدثنا عنها قبل قليل.

وعلـــل أحـــد المرافقين ذلك بأن الحي لم يبق فيه إلا المسنون الذين لا أطفال لهم لأن الشبان القادرين على إنجاب الأطفال تركوا الحي لأهله، ونزلوا في أماكن أخرى.

هكـــذا قـــالوا ولا أظـــن ذلـــك صحيحاً، لأنه لو كان الأمر كذلك فيما يتعلق بترحـــيل الشبان فإنه لابد من أن يأتي شباب غيرهم ليحلوا محلهم، وإنما الذي أجمع علـــيه مـــن بحثـــنا معهم الأمر هو أن عدد الأطفال قد قل، ولذلك أخذت الحكومة تجمـــع تلامـــيذ الحي الذي فيه ثلاث مدارس على وجه التمثيل في مدرسة واحدة، وتبـــيع المدرســـتين الخاليتين- وذكروا أن الدراسة فيها ستبدأ في أول فبراير وهو أول العـــام الدراســـي عندهم لأن العطلة الصيفية في ديسمبر ويناير عكس ما عليه عندنا، وعند سائر الذين يكونون في القسم الشمالي من الأرض.

إلى مدينة روكنهام:

غادرنـــا مدينة بيرث في الخامسة والربع من عصر هذا اليوم متوجهين إلـــى مدينة (روكنهام) التي تبعد ٥٥ كيلومتراً جنوب مدينة بيرث على حافلة صـــغيرة طلبنا من الإخوة أن يستأجروها لنا لكي نسافر عليها غداً إلى منطقة (كاتـــنغ) إضـــافة إلـــى الجولة عليها اليوم، وقد اخترناها حافلة صغيرة حتى يركـــب فـــيها معنا من يركب من الإخوة المسلمين ولا تضيق بهم كما تفعل السيارة الصغيرة المعتادة.

ومـــررنا بكنيسة ذات قبة مطلية بطلاء ذهبي لافت النظر فعلق الإخوة المـــرافقون على ذلك بأن أكثر أهل البلاد وهو من ذوي الأصول الأوروبية غـــير متمســـكين بدينهم المسيحي ولكنهم لا يدينون بدين آخر، لذا لا يذهبون كثيراً إلى الكنائس، ولذا أيضاً صارت الكنائس قليلة في مدينة بيرث هذه.

ثـــم مـــررنا فوق جسر على نهر آخر غير نهر (سوان) وهو أيضاً في مياهه ملوحة خالطتها من مياه المحيط الذي يصب فيه النهر.

والطريق إلى روكنهام جيد مزدوج كل جزء من جزئيه يتسع لسيارتين، وكتف يتسع لسيارة ثالثة إذا اضطرت للوقوف وبينهما جزيرة واسعة هي فراغ فيه الأعشاب وقليل من الأشجار القصيرة ولكن الطريق لا يعتبر سريعاً مثل طرقنا لأنه ليست فيه أنفاق ولا جسور وإنما فيه إشارة من إشارات المرور أو دوارات وكلها تحد من السرعة الكبيرة.

وصلنا مدينة روكنهام بسرعة وذلك لسهولة الطريق، وامتداد ضواحي مدينة بيرث، وكان أول ما رأيناه منها منطقة صناعية ذات مصانع تنفث مداخنها الدخان، ولا تبعد المنطقة الصناعية عن المدينة كثيراً.

وقصدنا ضاحية منها تبدو كالحديثة، وإن كانت العناية شاملة لها مثلما هي شاملة لأحياء المدن الكبيرة.

مسجد روكنهام:

المؤلف عند اللافتة الخارجية لمسجد روكنهام عليه اسمه (مسجد الروكون)

وقفنا في ضاحية من المدينة مخصصة لأماكن العبادة عند مسجد روكنهام، وقد يسمونه (مسجد الركن) وهو أول مسجد يقام في هذه المدينة، وقد بنوه على هيئة دارة ذات مقدمة واسعة إذْ جعلوا المسجد في آخر الأرض مما يلي الشارع.

وهو حديث البناء، افتتحوه في ١٩٨٨/٣/٢٩م.

وقصته غريبة بل هي مضنية للإخوة المسلمين الذين قاموا عليه فقد اشتروا أرضه من الحكومة بمائة ألف دولار أسترالي، ومساحتها ألف متر مربع، لم تسامحهم الحكومة بشيء من قيمتها لكونهم مؤسسة خيرية، ومع ذلك لم أر في نفوسهم شيئاً من الشعور بعدم المراعاة، لأنهم قالوا: إن هذا هو سعر الأرض عند الحكومة لجميع أهل الديانات الأخرى في هذه المنطقة، بالذات التي خصصوها منطقة عبادة فيها كنائس البروتستانت والكاثوليكية وكنيس لليهود.

ولكن الحكومة راعتهم بأن قسطت عليهم المبلغ لمدة ٢٢ سنة دفعوا منها ٢٤ ألفاً مقدمة وعليهم أن يدفعوا مائتي دولار في كل سنة، على أن يكون ذلك إيجاراً لمدة ٩٩ سنة إلا أن الحكومة اشترطت عليهم أنهم إذا استطاعوا أن يدفعوا قيمة الأرض قبل شهر مارس عام ١٩٩٩ فإنهم يستطيعون أن يملكوها ملكاً وليس إيجاراً وإلا فإن القيمة تزيد ٣٥./. لأن الحكومة افترضت أن زيادة الأرض في ذلك التاريخ هي ٣٥./. حسب أسعار السوق المتوقعة بالتجربة عندهم، وقد جاهد هؤلاء المسلمون جهاداً كبيراً حتى جمعوا من داخل استراليا ومن خارجها وبخاصة من سنغافورة وماليزيا ما استطاعوا أن يبنوا به المسجد، ولكنهم بقيت عليهم الأرض مشكلة، إذْ أنهم يريدون أن يتملكوها تملكاً فجمعوا ٦٢ ألف دولار من قيمتها للحكومة وبقيت عليهم ٣٨ ألف دولار أسترالي.

وقد أخبرتهم أننا في رابطة العالم الإسلامي نستطيع أن ندفع لهم هذا المبلغ قبل حلول شهر مارس القادم بإذن الله، فهم يستحقونه على اجتهادهم في بناء المسجد ومثابرتهم على ذلك، ثم أخبرناهم بكيفية ذلك، لأن وصولنا إليهم فرصة تكفي عن سؤال السفارة أو مكتب الرابطة عن واقع حالهم، لأننا شاهدناها مشاهدة.

والمسـجد نظـيف جداً ذو مقدمة منسقة قد فرشوا أرضها بالأعشاب ما عدا الممرات وغرسوا بعض الأشجار الخضر التي لا تزال قصيرة لحداثة غرسها.

المؤلف في شارع كلام سكوت في غرب أستراليا

وداخـل المصلى نظيف جداً مفروش ببساط موحد (موكيت) ووضعوا إضافة إلى ذلك سجادات صلاة صغيرة في الصفين الأماميين.

وفـي آخره قسم مخصص لصلاة النساء مفصولاً عن المسجد بستائر القماش السـميك، ومـن الطريف أننا بينما كنا جالسين معهم في المسجد انبعث صوت من خلـف السـتارة يـتكلم عن أمر من الأمور لم يعرفها الإخوة من الرجال الذين كنا معهـم، فإذا به صوت الأخت حليمة وهي ماليزية تعمل سكرتيرة لجمعية المسجد، ثـم رأيـنا بعـض وجهها، وقال رئيس جمعية المسجد وهو مسلم إنكليزي مخلص لإسلامه، إنها زوجتي (حليمة) وهي في الوقت نفسه (سكرتيرتي).

ويبيـن الإيمـان علـى وجوه هؤلاء الإخوة القائمين على المسجد وهم إنكلـيزي مسلم هو رئيسهم- كما قدمت- وعدد من الإخوة من ذوي الأصل

الملايـــوي، وأغلبهم من مسلمي سنغافورة، واسم رئيس جمعية المسجد الأخ (محمد عمر قورت) ومحمد عمر هو اسمه الإسلامي اتخذه بعد إسلامه.

المسلمون في روكنهام:

يبلغ عدد سكان مدينة روكنهام نفسها ٤٨ ألفاً وهناك ضواح، وملحقات بها غير داخلة في هذا العدد ويبلغ المسلمين فيها ٣٠٠ أسرة منها مائتا عضو فـــي الجمعية الإسلامية التي بنت المسجد أكثرهم مالويون من سنغافورة، ثم يليهم الأفغان، وفيهم أسرة مصرية واحدة و٣ أسر بوسنوية.

وأول مـــن اســـتوطنها من المسلمين أسرة تسمى (مستور) وهي أسرة كبيرة في سنغافورة وكان ذلك في عام ١٩٨١م.

وهـــذا أمـــر عجيب أن تستوطن أول أسرة مسلمة هذه المدينة في ذلك التاريخ القريب.

ثـــم لـــم تمـــض هذه المدة اليسيرة حتى بلغ عدد المسلمين ما بلغ وبنوا مسجدهم الأول فيها.

ومـــن أهدافهـــم الغالـــية علـــيهم بـــناء مدرســـة بجانب المسجد لتعليم الدين الإســـلامي، بل إن طموحهم قد زاد إلى درجة أنهم يفكرون في بناء مركز إسلامي يوفـــر المعلومات عن الإسلام لمن يزيدها من المسلمين وغيرهم، وينوون أن يبنوه بجانـــب المســـجد، مـــع أنهم قد جمعوا ما بنوا به المسجد بشدة وصعوبة، و لكنهم ذكـــروا أنه بلغ ما أنفقوه على المسجد مائتي ألف دولار أسترالي. وهذا ليس بكبير بالنســـبة إلـــى المباني عندنا لأن ذلك يعادل خمسمائة ألف ريال سعودي، وأخبرونا أنهم ظلوا سنة يجمعون التبرعات من سنغافورة وماليزيا.

ثـــم حدثنا رئيس الجمعية الإسلامية الأخ (محمد عمر قورت) عن نفسه بناء على ما سألته عنه وإلا فإنه لم يذكر ذلك ابتداء تواضعاً وإخلاصاً لدينه،

فذكـــر أنـــه أسلم في عام ١٩٧٥م وأنه كان موظفاً إلا أنه بلغ السن النظامية وتقـــاعد قبل فترة قصيرة. وفي هذه المناسبة أثنوا على الحكومة رغم تشددها في موضوع الأرض قائلين: إنها كريمة وجيدة ولكنها مدينة بمبالغ أنفقتها لمصلحة المدينة لذلك تبيع الأرض لكي توفي دينها.

يثنون على الحكومة:

وقـــد لاحظت أن الإخوة المسلمين المهاجرين في هذه البلاد من العرب وغـــيرهم يثنون على الحكومة الأسترالية عاطر الثناء، ويذكرون أنها ليست لديهـــا سياسة عنصرية، وأنها تساعد الناس، ومن أهم ذلك أنها تدفع عن كل طالـــب في المدارس الإسلامية النظامية مبلغاً يتراوح بين ألفين وأربعة آلاف دولار أسترالي في السنة.

قالوا: وذلك جيد لها لأنها إذا فتحت مدارس في كل مكان كلفها الطالب الواحـــد أكـــثر من هذا المبلغ إذا حسب ما يتكلفه تعليمه من رواتب مدرسين وكتب ومساكن وأدوات وآلات مدرسية وكهرباء وماء إلخ.

ورغـــم ذلـــك فإننـــي لم أر ولم أسمع بحكومة مثلها تعطي هذه المبالغ السخية للمدارس المدنية بما فيها مدارس الأقليات عن كل طالب.

ولـــيس الثـــناء علـــى الحكومة مقتصراً على أهل ولاية دون الولايات الأخرى، بل رأيت ذلك وسمعته في أكثر أنحاء أستراليا التي زرتها.

ومـــن أهـــم ما تفعله أنها تعطي رواتب لكل شخص لم يجد عملاً، قال إخوانـــنا: إنَّ بعـــض المســـلمين مـــع الأسف يتسلم هذه الرواتب المخصصة للعاطلين، ولا يعمل ولكن الحكومة لا تصنع له شيئاً.

ومـــن ذلك أنها تدفع للسكان الأصلاء المسمين (أبورجنس) رواتب مقدارها فـــي المتوســـط (٣٠٠) دولار أســـترالي كل أسبوعين أي نحو (٦٣٠) دولاراً في

الشهر، وذلك يعادل نحو ١٥٠٠ ريال شهرياً بعضهم يستمر يتقاضاه لأنه لا يعمل وإن كان ينفق أكثره على شرب الخمر.

هـذا وقـد أعطيـنا الإخوة مبلغاً رمزياً معجلاً هو ثلاثة آلاف دولار أسـترالي من أجل المساعدة على النفقات الحاضرة للمسجد من كهرباء وماء ووعدناهم وعداً قاطعاً بأن نرسل لهم من الرابطة ما ذكرناه من المال ليدفعوا به مع غيره قيمة الأرض.

مغادرة روكنهام:

شفينا النفس من الإطلاع على أحوال الإخوة المسلمين في هذه المدينة، وذلـك بعد أن أمضينا معهم بعض الوقت في جلسة في أول مسجد أنشئ في هذه المدينة، وغادرناهم عائدين إلى (بيرث).

و(روكـنهام) مثل بيرث ميناء واقع على ما يسمى بالمحيط الهندي الذي هو غرب أستراليا وإن كان بعيداً عن الهند وأهله، وأرى أن يسمى المحيط الجنوبي.

ولاحظـنا كثرة الإرشادات واللافتات على الطرق إلى درجة يظن المر أن فيها إسرافاً، ولكن هذه طبيعة عرفناها من الإنكليز في بلادهم، وهي كثرة الإرشـادات والإيضاحات حتى لا يحتاج إلى ذلك، فعلى سبيل المثال إذا دخل المـرء إلى حمام الطائرة في طائراتهم سيجد أن الإرشادات المكتوبة فيه هي أكثر مـن غـيرها، وكذلك أي شيء يحتاج إلى إيضاح، ولاحظت أن الفنادق وبخاصة الراقـية مـنها مـا كـان من فئات النجوم الأربع والخمس يجد المرء التعليمات المكتوبة والإرشادات كثيرة فيها ظاهرة.

وكـل هذه اللافتات على الطرق مكتوب بالإنكليزية وحدها، ليست معها لغة أخرى، وذلك ثقة منهم بأن لغتهم الإنكليزية قد صارت عالمية، وهم على حـق فـي ذلـك فلا يوجد شخص متعلم له صلة بالسفر والانتقال في البلدان

الأخرى أو له هدف إلى ذلك إلا ويعرف شيئاً من الإنكليزية ولذلك لم يكونوا في هذه البلاد يدرسون لغة أخرى غيرها.

ومـــع ذلك اتجهت الحكومة الأسترالية أخيراً إلى أن يدرس الطلاب لغة أخـــرى مـــع الإنكلـــيزية وقد اختاروا عدداً من اللغات التي تقبل في المنهج الحكومي ومنها العربية.

بـل قـد رأينا أن هناك جماعة من الشبان من غير المسلمين يدرسون العربـــية من أجل العمل في البلدان العربية، لأن الحكومة تفضل من يعرفون العربـــية علـــى غيرهم إذا كان الأمر يتعلق بالسفارات والشركات الأسترالية العاملة، أو التي يمكن أن تعمل في البلدان العربية.

ومـــن اللافـتات التـــي رأيناها لافتة تقول وتكرر القول بأن الطريق مفتوح ومعنى ذلك أنك يمكنك أن تسرع فيه السرعة المقررة، وهي ١١٠ كيلات، وتكرر هذه اللافتة في أماكن متقاربة، ثم رأينا لافتة أخرى تقول (نهاية الطريق المفتوح)، ورأيـــنا لافـــتات ضوئية بعد ذلك تضئ وتطفئ كاللافتات التي تشعر بقدوم قطار علـــى سبيل المثال، وما من قطار هنا، ولكنهم يريدون أن ينتبه السائق إلى أنه قد قارب الوصول إلى مفترق طرق تتقاطع عنده، ويجب عليه أن يهدئ سرعته حتى لا يصطدم بالسيارات المعترضة.

وذلك كله من أجل أنه لا يوجد في هذه المفارق نفق ولا جسر يمكن أن تسير فيه السيارات دون أن تقف أو يخشى تصادمها.

حـــتى الدَّوَّار وهي الدائرة الكبيرة التي تكون في مفارق الطرق ليست موجودة هنا.

هذا وقد عدنا إلى مدينة (بيرث) في السابعة والربع حيث غروب الشمس في هذا الوقت مع أنها كانت تغرب في (بروم) في السادسة والربع رغم كون توقيت المدينتين واحداً.

يوم الأحد: ١٤١٩/٨/١٧هـ- ١٩٩٨/١٢/٦م:

إلى بلدة كاتنغ:

سيكون هدفنا هذا اليوم زيارة مسجد بلدة (كاتنغ) الواقعة جهة الجنوب من مدينة بيرث على بعد ٣٣٢ كيلومتراً.

وذلك المسجد هو الأول في تلك المنطقة، بل هو الوحيد فيها، وليس ذلك فحسب وإنما القائمون عليه هم من إخوة لنا آخرين غير الأتراك والعرب والهنود الذين يبنون المساجد ويقومون على الجمعيات الإسلامية في أستراليا في المعتاد، وهم جماعة من أهل جزيرة (كوكس) الواقعة في المحيط الهندي على بعد ٣ ساعات طيران من بيرث جهة الغرب، وهم من أصول أندونيسية هاجروا أو هُجِّروا إلى تلك الجزيرة النائية المنعزلة، وسنكون بهذه الرحلة اليوم التي من المقرر أن تستمر طيلة هذا النهار قد زرنا جهة الجنوب الغربي النائية من قارة أستراليا.

كان الإخوة قد استأجروا لنا حافلة صغيرة وأعدوا للأمر عدته، فقد غادرنا فندقنا في مدينة بيرث في الثامنة صباحا، وكان يقود هذه الحافلة المستأجرة أخونا (إسماعيل فريدركز) وهو من المهاجرين إلى أستراليا من جمهورية جنوب إفريقية، وذلك لكوننا استأجرنا السيارة من دون سائق وقد تبين أنه سائق ماهر خبير بأنظمة المرور في هذه البلاد.

كان الجو غائماً ذا نسمات منعشة ليس فيها أثر للحر، وذلك غِبَّ مطر كان قد نزل البارحة، وانطلقنا مع شوارع (بيرث) التي لولا ضيق فيها لقلنا: إنها شوارع جيدة.

التعايش مع الذبان:

كانت السيارات في الشوارع قليلة في هذا الصباح لكونه الأحد يوم العطلة الرسمية، وفي هذا الصباح المنعش لم يتركنا الذباب الملح ننعم

بالانتعاش، فكان يدخل إلى السيارة إلا إذا أقفلنا زجاجها.

ولـم يعـرف الإخـوة سبباً ظاهراً لكثرة الذباب في أستراليا في المدن والأريـاف إلا أن بعضهم يعلل ذلك بوجود مزارع تربية الحيوان، ولكن ذلك ليس بصحيح لأن البرازيل فيها مزارع للأبقار والحيوان وحتى الدواجن، ولم أر فيها مثل هذا الذباب في كثرته وخشونته وإلحاحه.

وذكـر إخوانـنا اليوم كما ذكر من كانوا قبلهم أن للذباب موسماً يتكاثر فيه وإنـه يـؤذي إلـى درجة أنه يدخل إلى فم الإنسان يلتمس فيه الرطوبة كما قالوا، وبعضـهم قال: ليشرب منه، وقلت لهم: إن بلادكم بلاد خضرة ومياه وفيها أنهار، وقـد عهدنـا الذباب في بلادنا ذات الطبيعة الصحراوية القليلة المياه لا يفعل فيها ذلك فيدخل إلى أفواه الناس التماساً للرطوبة.

قالوا: ويدخل في الأنف وحتى في العين.

وقالوا أخيراً: لقد تعايشنا مع الذباب! إذْ لم نجد له دفعاً.

ومـن الغريـب بالنسـبة إلينا أن الحكومة الأسترالية لا تقاوم الذباب برش المبـيدات الحشرية كما تفعل أكثر البلدان، وذلك لكونها تخشى أن تقضي المبيدات على مخلوقات أخرى من الحشرات وغيرها، إضافة إلى كونها تلوث البيئة.

هـذا وكـان يرافقـنا في السيارة في هذه الجولة الإخوة (حمدي عيد) وهو مصري هاجر إلى أستراليا منذ ثلاثين سنة واستوطنها ورزق فيها ولدين.

والأخ زين العابدين ملابوي لا أدري بقية اسمه وكذلك سكرتير المجلس الإسلامي لولاية غرب أستراليا.

وقد سلكنا بعد أن خرجنا من قلب مدينة بيرث طريقاً مزدوجاً لكنه غير واسع يفصل بين الذاهب فيه والآتي منه جزيرة فيها شجر غير معتنى به، وقد عجبـت مـن تحملهم الوقوف عند إشارات المرور في هذه الشوارع المهمة، وبعضها في ضواحي المدينة قريبة من الريف.

وقفة في كلام أسكوت:

وهذه جملة إنكليزية تظرف أحد الإخوة فقال معناه: لا تتكلم، لأنها تقول: كلام: أسكت أي أسكت عن الكلام، فقلنا: إن الذي يسافر مع غيره لا ينبغي له أن يسكت لأن الكلام يساعد على سرعة انقضاء الطريق، ويؤنس الرفقة، كما روي عـن أحد حكماء العرب أنه سافر مع رفيق له ماشيين فقال له: إمَّا أن تحملني وإما أن أحملك! فتعجب رفيقه وقال: كيف يكون ذلك؟ وهل تقدر على حملي؟ أو أقدر على حملك؟

ففسـر له ذلـك بأنه إما أن تحدثني، وإما أن أحدثك، لأن الحديث أثناء السفر يقصر الطريق.

بلدة أرماديل في غرب أستراليا

وكانت الوقفة من أجل تعبئة السيارة بالوقود، فانتهزت الفرصة والتقطت صورة تذكارية فيه مع أحد الإخوة المسلمين.

ويبـيعون وقود السيارة بـ٧٢ سنتيما أسترالياً لليتر الواحد، وذلك يساوي ريالين سعوديين وهو ضعف قيمته في بلادنا مع أن البنزين عندنا هو أفضل من هذا.

بلدة أرماديل:

وصـــنا بسرعة إلى بلدة (أرماديل) وهي بلدة صغيرة جميلة التقطت لها صورة من السيارة لجمالها.

وقـــد بدأ المطر يرسل رذاذه ونحن متجهون إلى الجهة التي نعتقد أنها نهايـــة العـــالم مـــن جهـــة الجنوب، وإذا تصور المرء ذلك فإنه ربما يشعر بالوحشة، رغم كونه يرى الآن بلداناً وأناسيّ كثيراً.

لأنـــنا لـــو استمر بنا السير إلى آخر اليابسة لوصلنا بعد نحو أربعمائة وخمسين كيلومتراً إلى نهاية القارة الأسترالية من جهة الجنوب الغربي، وذلك نهايـــة اليابسة من هذه الجهة وليس وراءها إلا البحر المحيط البارد المتلاطم الأمواج حتى القطب الجنوبي.

في محراب مسجد روكنهام مع رئيس الجمعية المشرفة على المسجد (على يســـار المؤلـــف) وأحـــد الإخـــوة ورحمة الله بن عـــناية الله

وقد بدأنا نرى مزارع الفاكهة التي من أهمها العنب فوق عرائشه، وليس العنب في أوروبا الذي يكون شجيرات صغيرة واقفة على أعواد، ومن الفاكهة الأخرى نوع من الخوخ يوجد مثله في الشام، والبلدان الشمالية وهو نوع من الدراق.

وتجاوزنا في الطريق سيارة شحن تحمل شحنة كبيرة من التيوس، ذاهبة بها إلى المجزرة وقد جعلوها طبقات بعضها فوق بعض ورصوا التيوس فيها ولكن بحيث لا تؤذيها.

وقد أخبرونا أن لحمها أغلى من لحم الضأن، لأن الناس هنا يفضلونها على الخراف.

واللحوم هنا وفيرة ومتعددة المصادر، منها المعروف من البقر والضأن والمعز ومنها الوحشي كالكنغرو والأرانب البرية الكثيرة التي ذكروا أنها كثرت إلى درجة صارت تأكل المزارع وصعبت السيطرة عليها فجاءوا بأنواع من الطيور الجارحة عسى أن تأكلها ولكنها لم تفعل لها شيئاً لكثرتها، أي الأرانب، وما على من يريد أن يصطاد منها شيئاً إلا أن يهيئ مكاناً معه لما يصيده منها، ولا تمانع الحكومة في ذلك، رغم حرصها على صيانة الحياة الفطرية في البلاد.

وأما الكنغرو فإن الذين يأكلونه بصفة رئيسة هم سكان البلاد الأصلاء من ذوي اللون الأسود الذين يسمونهم (أبورجنس) فإنهم يصيدونه، وكان حيوان اللحم الوحيد الموجود في أستراليا قبل أن يصلها الأوربيون فلم تكن توجد في القارة بقر ولا غنم ولا خيول ولا إبل.

ولكن لحمه جاف صعب المضغ يشبه لحم الإبل إلاّ ما كان منه صغيراً فإن الأوربيين يأكلونه، مثلهم في ذلك مثلنا في استطابة لحم الصغير من الإبل (الحاشي)، وعدم استساغة لحم البعير الكبير إلا من طوائف منا خاصة.

وأما لحم الكبير من الكنغرو فإنه يستعمل غذاء للحيوان الأليف من القطط والكلاب. وقد تظرف أحد الإخوة فذكر أن لحم الصغير منه يوجد في المطاعم الأوربية، ولكنه ليس حلالاً لأن ذبحه ليس على الطريقة الإسلامية.

ونحـــن لا ندري عن كيفية ذبحه لذلك نأكله على اعتبار أنه من طعام أهل الكـــتاب الذيـــن يحل طعامهم، وقد فسر العلماء طعام أهل الكتاب بأن المراد به ذبيحـــتهم إلا إذا عرفـــنا مـــنهم أنهم يخنقون الذبيحة فإنها تكون حراماً مثلما إذا عرفنا أن أحداً من المسلمين يخنقها خنقاً ولا يذبحها ذبحاً.

أما الكنقرو في الأصل فإنه حلال مثل الغنم والبقر، لأنه لا يصيد بنابه، ولم يرد دليل على حرمته والأصل في المطعومات الحل، وقال أحد المرافقين معلقـــاً علـــى ذلـــك: إنه حلال لكونه ذا ظلف كالماعز، فقلت: ليست قاعدة صحيحة لأن الحمار له ما يشبه الظلف، ولكنه حرام بالنص الصحيح الصريح من الحديث، إلا ما كان من الحمار الوحشي فإنه حلال.

هـــذا وقـــد وصلنا إلى منطقة من الغابات العذراء الكثيفة التي أكثر الأشجار فيها الكينا الموجودة في بلادنا تنمو في هذه البلاد الأسترالية، وحشية دون غرس.

وإذا تذكـــر المـــرء المساحة الكبيرة لهذه القارة الأسترالية وكون مساحتها ضعف مســـاحة المملكـــة العربية السعودية أكثر من أربع مرات، وهي معادلة لمساحة البرازيل التـــي يـــبلغ عـــدد سكانها في الوقت الحاضر ١٦٠ مليوناً من النفوس، بل إن المرء إذا تصـــور مســـاحة الصـــين الشـــعبية التي تبلغ مساحتها نحواً من مساحة قارة أستراليا، عـــرف قلـــة السكان في هذه البلاد الأسترالية بالنسبة إلى البلدان الأخرى، فالصين يبلغ عـــدد ســـكانها ألف مليون وخمسين مليوناً، وهذه القارة الأسترالية لا يزيد سكانها على ثمانـــية عشـــر ملـــيوناً مـــثل نصف عدد سكان جزيرة تايوان التي هي في حجم لبنان ثلاث مرات فقط ويبلغ عدد السكان فيها ٣٣ مليوناً.

ونعـــود إلـــى ذكر الكنغرو لكوننا رأينا واحداً منها يركض بل ينقز في إحدى الغابات هنا فقال بعضهم: إن أستراليا لو فرض أنها احتاجت إلى لحوم فـــإن الكـــنغرو سوف يمدها بها لأن النوع الأحمر من الكنغرو هو كبير إلى درجة تفـــوق أكبر الكبير من بني آدم في منظر جسمه وفي وزنه، بل إنه يصل إلى أكثر من ذلك وإذا وقف فإنه يفوق في الارتفاع قامة الرجل.

وأما الكنغرو المعتاد فإنه في حجم الماعز.

هـذا وكـان الطريق مزدوجاً حتى غادرنا (أرماديل) فإنه صار طريقاً واحداً للسيارات الذاهبة والآتية مفصولاً لمسيرهما بخط أبيض.

وقـد اشـتد هطول المطر وطال، بل طاولنا حتى خفنا أن نصل إلى مقصدنا (كاتـنغ) وهـو ينزل، وذلك يكدر علينا سفرنا لأنه يمنعنا من التصوير في الخلاء، كما يمنعني من الكتابة إذا ما أردت تقييد شيء في مذكرتي.

والسـيارات هـنا قلـيلة وربما كان ذلك لكون اليوم هو يوم الأحد، وأكثرها سـيارات الـركوب الصغيرة، ولم أر من الشاحنات فيها إلا قليلاً جداً، وذلك خلاف مـا كنت رأيته في طرق الصين الشعبية وروسيا، حيث تكثر الشاحنات والسيارات الخشـنة في طرقها، وأما الهند فإنها لا تبارى في كثرة الشاحنات في طرفها البعيدة والقريـبة وهـي كثـيرة إلـى حد مزعج، وتنفث الأدخنة فتلوث الجو وترسل من الأصوات المزعجة ما يقلق الراكبين على السيارات الصغيرة.

منطقة بنستر:

منطقة الغابات بين (أرماديل) وبنستر في غرب أستراليا

وصـــل بـــنا الطـــريق إلى منطقة زراعية يسمونها (بنستر) تكثر فيها حقول القمـــح الحصـــيد الـــذي لـــم يبق منه إلا أصوله الصفر، وتكثر فيها مزارع تربية الأغـــنام، وقـــد رأيناها محجوزة في مساحات شاسعة من الفراغ يسمونها المراعي المفـــتوحة لأن الغنم قد تركت فيها طليقة ترعى كيف شاءت، والغريب أننا رأيناها تـــرعى ولا ترفع رؤوسها عن الرعي، فإذا كانت كذلك منذ زمن طويل، ولم ينفد المـــرعى مـــن الأرض فإن ذلك عجيب، وقد قدرت أنهم يطلقونها في ناحية ترعى فـــيها. ثـــم يطلقونهـــا في أخرى بينما تكون المنطقة الأولى يستجم نباتها بأن يكثر فتعود إليها ثانية، فلاحظت أن القمح عندهم يزرع حتى في الأماكن المرتفعة إذا لم يكن ارتفاعها حاداً إلى درجة يصعب على الآلات الحاصدة الضخمة أن تصل إليه فذكـــرت بذلـــك ما هو عندنا في القصيم حيث يزرع الناس القمح على التلال غير الحـــادة أو الوعرة يسقونه بما يسمى بالسقي المحوري وهو الذي يرش الماء على النبات رشاً فيعيش من دون سواقٍ وقنوات.

ولاحظـــت قلة المطاعم والمقاهي على الطريق، فأخبرني المرافقون أن ذلك صـــحيح وأنها تكون عادة بجانب محطات بيع وقود السيارات بحيث تكون المحطة لبيع المحروقات والاستراحة على ما يريده المرء من طعام أو شراب.

الطريق بين وليامز وكاتنغ في غرب أستراليا

ولكن المحطات التي تبيع الوقود هي هنا قليلة، وليست من الكثرة بمثلما هي عليه في بلادنا.

ثـم وصـلنا إلـى منطقة لتربية الأبقار تجاورها منطقة لتربية الضأن وخرافهم شهب الألوان، أي رمادية ليس فيها لون خالص ناصع كالأبيض أو قـانٍ كالأحمـر أو داكن كالأسود، وهو لون الخراف النجدية التي تكون سود الألوان بيض الرؤوس.

ولم نمر حتى الآن في الطريق بنهر أو حتى نهير ولا بحيرة في المنطقة مـع أنهـا خصبة نتيجة لكونها تعتمد على المطر، والمنطقة الجافة تكون في العادة أصلح لتربية الماشية من المناطق المطيرة.

منطقة وليامز:

وصلنا منطقة (وليامز) ولم يعرف أحد ويلماز أو (وليامز) كما يمكن أن تكتـب ولا سـبب هذه التسمية في العاشرة والنصف فوجدنا فيها محطة لبيع وقـود السيارات، عندها مقصف جيد يقوم على الخدمة فيه نساء من البيض، مـثل أكـثر المطـاعم والمشارب، فلم أرهم يستخدمون أحداً من ذوي اللون الأسـود كالأبورجـنس، ولا من السمر كالملايويين والهنود، وربما كان ذلك راجعاً إلى كون الدولة تعطي مساعدة للمحتاجين، والمتعطلين عن العمل، مما لا يضـطرهم إلى العمل في مثل هذه المقاصف إضافة إلى كثرة الامتيازات الممـنوحة هنا للعمال من المحافظة على الحد الأدنى من الأجور، ومن عدم جواز أن يشغل رب العمل عاملاً بأقل من الأجر المقرر مهما كانت الأسباب، ممـا يجعـل أربـاب العمل يفضلون العمال المهرة من البيض ونحوهم على غيرهم ما دامت الغرامة متقاربة.

صورة مع الإخوة في شارع الاستراحة في منطقة وليامز (غرب أستراليا)

ولاحظـت شيئاً جيداً من محطة الوقود هذه فقد جعلوا فيها خارجاً عن المقصـف مقاعد مستطيلة من الخشب يجلس عليها بالمجان من يريد الجلوس من غير أن يدخل المقصف فيدفع ثمن جلوسه فيه.

الدخان الغالي:

إلـى جانب من المطعم متجر صغير فيه ما يحتاجه المسافر في العادة من الكـيك (الكعـك) الليـن والحلـوى واللبان وما أشبه ذلك حتى الخبز وما يتبعه ولاحظـت أن فـيه علـباً مـن علب الدخان قد كتبوا ثمن العلبة الواحدة عشرة دولارات ونصـفاً، وهـذا أمـر لا يصدق لولا أنني رأيته بنفسي، وسألت عنه عاملـة المقصـف من باب التأكد منه فأخبرتني أن ثمن علبة (السجائر) الواحدة هـذه هـو عشرة دولارات أسترالية ونصف، وذلك يساوي ستة وعشرين ريالاً وربعاً!! ولا أعرف ثمنه في بلادنا ولكني أعتقد أنه لا يصل إلى ربع ثمنه هنا.

وقلت للإخوة المرافقين: إن هذه سياسة جيدة من الحكومة أن ترفع الضرائب على الدخان إلى هذا الحد لكي تجبي المال، وتحث الناس على عدم التدخين ولو بالمنع منه لغلائه فأجابوا: إن الحكومة قصدت من ذلك التوفير لها، لأن المدخنين يكلف علاجهم الدولة مبالغ كبيرة فهي بهذا توفر ثمن ذلك العلاج!

قلت: وشيء آخر وهو أن وسائل مكافحة تهريب الدخان سهلة بالنسبة إلى هذه البلاد، لأنه ليست لها حدود برية مع أية دولة أخرى، ومعظم وصول الناس إليها يكون عن طريق الجو، لذلك تسهل مراقبتهم، ولذلك رأيتهم في مطار (داروين) يشددون في تفتيش المسافرين.

أما الذين يصلون عن طريق البواخر والسفن الكبيرة فإن عددهم قليل، يمكن التشديد في التفتيش عليهم.

وكل ما في هذا المقصف: مقصف وليامز نظيف ومرتب، والذين فيه من الناس هم البيض وحدهم.

ومع أن الأخ المرافق (حمدي عيد) قد أحضر معه فاكهة منوعة أكلنا بعضها فإننا احتجنا إلى أن نأخذ من المقصف كعكاً لينا (كيك) مع القهوة والشاي.

وذهب أحدنا إلى الحمام فلاحظ أن حمام الرجال على حدة، والنساء على حدة والمراد بذلك المرحاض محلات قضاء الحاجة وهذا طبيعي، ولكن اللافت للنظر أنهم خصصوا للعاجزين حماماً على حدة لا يجوز لغيرهم أن يدخله، وإذا فعل ذلك كان فعله مدعاة للاستنكار والإنكار عليه.

ويقع المقصف في مواجهة مزرعة لتربية الأغنام تماماً ولم أر فيه ذباباً أكثر من غيره، مما يدل عل أن تعليل كثرة الذباب في أستراليا بوجود مزارع تربية الحيوان غير صحيح، وقد أخبرني الإخوة أنه يوجد هنا نوع كبير من الذباب شديد العض، وينتج عن عضته أحياناً قرح، فقلت: ربما كان هو الذي تسميه العامة في بلادنا: (شيخ الذبان) لكونه متميزاً عنها بالكبر، وهو شديد العض.

مواصلة السير:

غادرنـــا (وليامز) في الحادية عشرة بعد استراحة جيدة، فواصلنا السير فـــي اتجـــاه بلـــدة (كاتنغ) ووقعنا في المزيد من مزارع القمح الحصيد الذي حصـــدوه ونقلـــوه ولم يبق إلا أصول قصبه في الأرض، وأكوام من تبنه قد جعلوها كالقوالب الكبيرة تمهيداً لنقلها، ولم أر عندهم أكواماً من التبن المتروك علـــى حالـــه كما يفعل بعض المزارع عندنا، وبعضهم رأيتهم قد جعلوه على هيئة براميل، تسهيلاً لحمله، وربما لإطعامه الماشية، وبخاصة الأبقار.

ومـــن الطـــريف أن اللـــون الأصفر هو السائد الآن فأكثر الأرض مفروش بأصول القمح الصفراء، والأرض ذات تربة صفراء شبيهة بالرملية.

وقد حاولت أن أصورها والسيارة تسير غير أن أشجار الطريق وإن لم تكن عالية فإنها كثيفة إلى درجة كونها تمنع ظهور الصورة واضحة.

هذا ولا يزال الطريق ضيقاً لا يتسع إلا لسيارتين متقابلتين يفصل بينهما خط أبيض.

منطقة آرثر ريفر:

ومعـــناه مـــنطقة (نهـــر آرثر) مع أنه لا نهر هنا على الطريق، وإنما يوجد الـــنهر وهـــو صغير بعيداً من هنا، وذكروا أن مياهه تزيد في الشتاء فتجري فيه، وأمـــا فـــي الصيف فالغالب عليه أنه لا يجري، وما يزال الطريق خالياً من القرى والمســـاكن، وقد توقعت أن أرى أيضاً أناساً من السكان الأصلاء، أي (أبورجنس) فلم أر أحداً منهم، وقيل لي: إنهم لا يوجدون في هذه المنطقة.

ثـــم تركـــنا الطريق الذي كنا نسير فيه، وسلكنا طريقاً ينتهي بآخر مدن أستراليا من جهة الجنوب الغربي، و هي آخر العالم المعمور من الأرض من جهـــة الجـــنوب، اســـمها (الباني) على لفظ قريب من لفظ (الألباني): واحد

الألبان، وإن لم تكن سميت على اسمه.

وتقع مدينة (الباني) على بعد ٢٠٠ كيلومتر منا الآن، وهي مشهورة بتصدير اللحوم والأسماك ومشهورة بخصوبتها وكثرة الأمطار فيها، ولذلك يكثر فيها الكنغرو.

ثم تركنا الطريق الموصل إلى (الباني) وعطفنا يساراً إلى مدينة (كاتنغ) التي نقصدها، وقد بقي على الوصول إليها ٥٨ كيلومتراً.

قبيل الوصول إلى كاتنغ:

قبيل الوصول إلى كاتنغ كثرت مزارع القمح الحصيد أو لنقل آثار القمح الحصيد الصفراء منتشرة على الأرض الصفراء، ورأينا قبل الوصول إليها واحداً من حيوان الكنغرو قد دهسته سيارة وهو باقٍ على الطريق، وقال الإخوة: إنه كثيراً ما يُدهس هنا، ويكون ذلك من حظ الثعالب والغربان التي تأكلها جيفاً.

قبيل الوصول إلى بلدة كاتنغ في غرب أستراليا

هذا وأشجار الطريق وحشية كانت موجودة في المنطقة قبل شق الطريق فأبقوهـــا علـــى ما هي عليه، لذلك يشعر الناظر إليها أنها جزء من الأشجار الموجودة لا يميزها عنها شيء من عناية أو نحوها، إلا أنهم قطعوا الأشجار الوحشية في أماكن الحقول، ومزارع تربية الماشية.

هذه كاتنغ:

بـــدت مـــنازل البلدة متطامنة متفرقة ذات رقعة ضيقة، لذلك حاولت أن أصورها على البعد من مكان مشرف نوعاً ما، وما أدري أتكون الصورة واضحة.

وعـــندما دخلناها لم نشعر إلا ونحن بسرعة في شارعها التجاري العام، وأســـرعت ألـــتقط من السيارة هذه الصورة لشارعها العام الذي بدا ضيقاً فيه مستديرة صغيرة أيضاً قد غرسوا فيها زهوراً صفرا.

ومعظم بيوتها حتى التي على الشارع العام من طابق واحد.

مسجد كاتنغ:

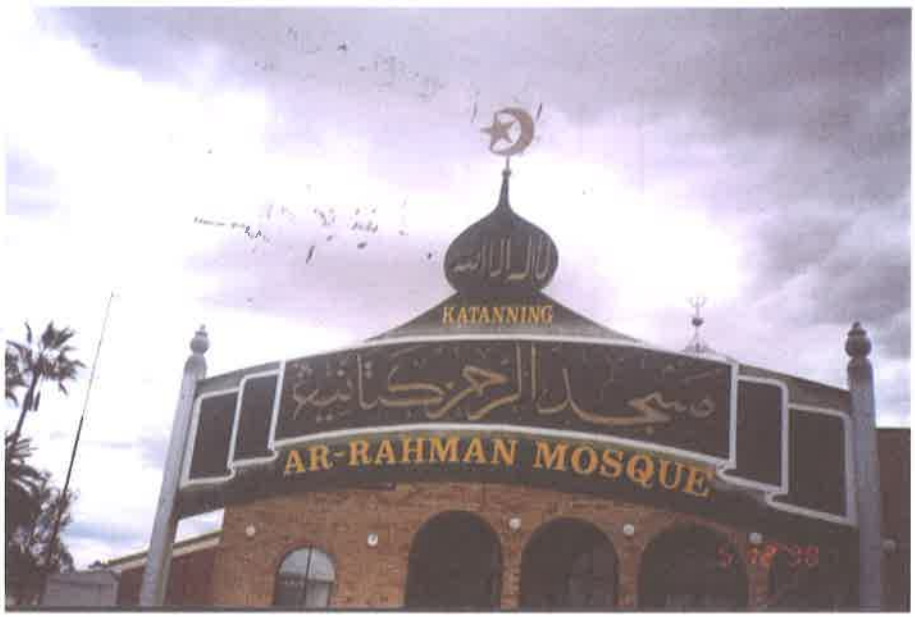

لافتة المدخل الخارجي لمسجد الرحمن في كاتنغ

تجاوزنا الشارع التجاري بسرعة لقصره، وقلة سكان البلدة، بل تجاوزنا البلدة كلها بسرعة حتى وصلنا إلى المسجد في ضاحية منها.

ورأينا المسجد متميزاً عن غيره بقبة فضية لا يوجد لها نظير في البلدة وهي مثل القباب على المساجد الصغيرة الريفية في إندونيسيا، ويتقدمه رواق ذو أقواس عربية جميلة.

واسم المسجد (مسجد الرحمن) وقد كتبوا عليه اسمه كتابة عربية واضحة (مسجد الرحمن كاتنغ) ووجدنا عنده عدداً كبيراً من السيارات تبين أنها للإخوة الذين حضروا لأداء الصلاة فيه، وسبب كثرتها هو أن اليوم الأحد يوم العطلة عندهم.

أسرعنا نتوضأ من أماكن للوضوء نظيفة حتى إن فيها صابونة، ولكنها ليست واسعة ولا حديثة الطراز.

ثم دخلنا المسجد فوجدناه على غاية من النظافة في فراشه وأثاثه.

ومما سرني أن رأيت فيه طائفة من الأخوات المسلمات بثيابهن السابغة التي نعرفها مع الحجاج الإندونيسيين، ثم رأيتها في أنحاء من إندونيسيا وهي ثياب ساترة جميلة.

وقد حضرت الأخوات لأداء صلاة الظهر، وقال لي أحدهم: إنهن حضرن من أجل الاستماع إلى درس في المسجد، ولكنني رأيتهن انصرفن سريعاً بالسيارات بعد الصلاة.

صلاة الظهر في مسجد الرحمن في كاتنغ

وأما المصلون من الرجال والأطفال فإنهم الإندونيسيون الذين نعرفهم بلباسهم وهدوئهم في المسجد وقد أسرع الإمام في الدخول لصلاة الظهر فصلينا معهم في الصف الأول، لأنهم أفسحوا لنا مكان الصلاة وإلا فإن عددهم كان كبيراً نسبياً إذ صلوا في عدة صفوف، والمسجد ليس عريضاً.

وعلى الإمام قميص تحته فوطة إندونيسية سابغة وفوق رأسه عمامة خفيفة، وبعض المصلين عليهم القمص- جمع قميص- الشبيهة بالعربية، فصلى صلاة مطمئنة.

وعند انقضاء الصلاة التفت بنصف جسمه وهو لا يزال في المحراب فصار جنبه إلى المصلين ووجهه إلى جانب المحراب، وأخذ مسبحة قريبة منه، ثم قرأ الفاتحة وصار يهمهم بدعاءٍ لم أفهمه، ثم صار يكبر بصوت خفيض ويسبح كأنما كان يريد أن يسمع نفسه دون غيره، ثم رفع يديه بالدعاء فأمنوا على دعائه.

وبذلك قام من مكانه وانتهت الصلاة فأسرع صغارهم بل جمهورهم يسلمون على خمسة منهم، وربما كانوا قادمين عليهم فصافحوهم كلهم وصافحونا معهم.

وأولئك الخمسة هيئاتهم متميزة عن غيرهم، وقد تأخر هؤلاء عن الصف إلى وسط المسجد وصاروا يكبرون ويكررون جملة (الله أكبر) الله أكبر الله أكبر عشرات المرات، ثم صاروا يسرعون في التلفظ بها إلى أن صاروا يقولون: الله الله الله، بصوت منغم ويكررون ذلك دون غيره، وهمس في أذني الأخ (إسماعيل فرد ركز) قائلاً: هؤلاء يقال لهم المفردون، قلت: هذا مأخوذ مما ورد في الأثر بأن المفردين هم الذاكرون الله كثيراً، وأظن أن هؤلاء ينتمون إلى طائفة من الصوفية.

جلسة في المسجد:

مع أعضاء الجمعية الإسلامية في مسجد كاتنغ

سلمنا على الإمام ورئيس الجمعية الإسلامية في البلدة وهي التي تشرف على المسجد، ثم عقدنا معهم اجتماعاً في المسجد حضره عدد منهم وانصرف أكثرهم بعد الصلاة.

وأخبرونا أن في المسجد فصلاً دراسياً فيه ٧٠ طالباً، ولذلك لم أعجب من كثرة الأطفال الذين أدوا الصلاة معنا في المسجد.

وكان الإخوة قد عرفوا بقدومنا إليهم من أهل المجلس الإسلامي لغرب أستراليا، ومع ذلك لم أر كثيراً منهم انتظروا بعد الصلاة وإلا لكنت ألقيت فيهم كلمة تتضمن التعريف بوجودنا، وسبب مجيئنا إلى أستراليا كما تتضمن النصيحة والتذكير، طبقاً لما كنت أفعله في مثل هذه الحال، ولكن يظهر من حالهم وحال إخواننا المسلمين في أستراليا أن إلقاء مثل هذه الكلمات والنصائح في المسجد من الزوار ليس شائعاً.

وصول المسلمين إلى كاتنغ:

كان أهم الحاضرين معنا إمام المسجد واسمه (عبدالله عبدالرحمن) ورئيس الجمعية الإسلامية في البلدة الأخ (عقلي لوري) وقال أحد المرافقين: ربما كان أصل اسمه (عقيل) فقلت: و(عقلي) منسوب إلى العقل وهي كلمة من مصطلحات العلماء الاوائل، والمعروف في البلدان الإسلامية الشرقية غير العربية أن المسلمين إذا ولد للواحد منهم ولد ذهب به إلى شيخ أو رجل من رجال العلم ليؤذن في أذنه ويسميه، لذلك كثرت الأسماء الرنانة العربية الأصل عندهم.

وأمين الجمعية ويسمونه: سكرتير الجمعية واسمه (فضيلا تيلر) وفضيلا هي فضيل- تصغير فضل- في حالة النصب ومن أشهر من سمي بفضيل من علماء المسلمين الإمام (فضيل بن عياض)، أما (تيلر) فإنه اسم إفرنجي وقال لنا رئيس الجمعية والإخوة يسمعون وكان الكلام باللغة الإنكليزية لكونها اللغة الوطنية في أستراليا ويفهمها الجميع: إن الرجل الذي كان مسيطراً على جزيرة كوكس وهو إنكليزي من غلاة المستعمرين كان إذا ولد مولود لأحدهم أعطاهم نقوداً له وسماه بالاسم الذي يريد، وكان المسلمون منعزلين في هذه الجزيرة النائية منذ سنوات

طويلة لذلك لم يكن يصلهم علماء وليست لديهم المعرفة الكاملة بأمور الدين.

سألناهم أول الأمر عن المسلمين في هذه المدينة فذكروا أنهم من المهاجرين القادمين من جزيرة كوكس الواقعة في المحيط الهندي إلى الغرب من أستراليا، وأنهم كلهم من أصول إندونيسية، ذهب أوائلهم إلى تلك الجزيرة النائية لأن هولندا التي كانت تستعمر إندونيسيا كانت تنفي من يخالف سياستها أو تشم منه نشاطاً غير مرغوب فيه منها إلى هذه الجزيرة الخالية من أي شيء إلا الأسماك في البحر، وأشجار النارجيل التي تثمر جوز الهند في البر.

وقد صارت الجزيرة مستعمرة بريطانية، وظل ذلك الرجل يدعي ملكيتها وإن لم يدع ملكية أهلها، أو هو يدعي اختصاصه بالسيطرة عليها حتى اشترتها منه أستراليا في عام ١٩٨٨م، واسمه (كلوني روس) وكان هذا من حسن حظ سكان الجزيرة إذْ حصلوا على الجنسية الأسترالية، ثم حصلوا على أعمال في الشركات ومنهم أكثر هؤلاء الإخوة الذين يعملون في شركة لذبح الحيوان وتصدير لحمه، كما أن الجمعية الإسلامية تحصل من منح شهادات الذبح الحلال على مبالغ مالية لا بأس بها.

سألتهم عن الفرق بين المعيشة هنا وفي الجزيرة؟ فعجبوا من طرح السؤال وقالوا: ليس في الجزيرة إلا النارجيل وسمك البحر، وأما هنا ففيه ما تعرفونه وبخاصة وفرة العمل لمن يريده ومن لم يستطع الحصول على عمل أعطته الحكومة إعانة شهرية ينفق منها حتى يحصل على عمل.

ولما سألتهم عما إذا كانوا من الإندونيسيين؟ أجابوا بأنهم ليسوا من الإندونيسيين من الناحية النظامية بمعنى أن جنسيتهم ليست إندونيسية، وإنما هم من أصول إندونيسية خرج أجدادهم من إندونيسيا واستقروا في تلك الجزيرة التي هي أقرب إلى إندونيسيا من أستراليا.

وهنا سألت رئيس الجمعية السؤال الذي كان يلح على خاطري وهو رجل لمست منه سعة الإطلاع وهو ما إذا كان الإندونيسيون قد وصلوا إلى أستراليا قبل الإنكليز؟

فأجـــاب: نعـــم، إن هـــذا هـــو المعـــتقد فشـــواطئها الشـــمالية قريبة من الجزر الإندونيســـية ولكـــن كـــان فيها أناس متوحشون وأمراض، وليس فيها كسب عاجل، فلم يستوطنوها، ويؤكد أن الإندونيسيين قد شاهدوا حيوان الكنغرو وذكروه.

وذكر أن في جزيرة كوكس الآن ثلاثة مساجد بناها أهلها.

بناء المسجد:

الواجهة الداخلية لمسجد الرحمن في كاتنغ

ذكـــر الإخـــوة وهم من كبار العاملين في الجمعية الإسلامية أنهم بنوا المسجد في عام ١٩٨١م اشتروا أرضه من الحكومة بخمسة عشر ألف دولار مـــع أن مساحتها اثنا عشر ألف متر مربع، وذلك لكونها فيها مياه طافحة، لا يرغب الناس في شرائها من أجل ذلك.

وظنـــي أن الأمـــر لا يقتصـــر على هذا الحد، وإنما كان رخصها لقلة الراغبين في شراء الأرض وكونها ليست أرضاً زراعية.

وقد جففوها من المياه، دفنوها وبنوا عليها المسجد.

وذكـروا أنهم ظلوا يجمعون تبرعات من المحسنين في المملكة العربية السعودية، وقليل من أهل سنغافورة المقيمين فيها.

والمسـجد مكـتمل الآن ولا يحتاجون إلا إلى بناء فصول دراسية فيه، فقلت لهـم: إننا في رابطة العالم الإسلامي يمكننا أن نساعدهم، لأن ذلك متعلق بالمسجد وطلبت منهم أن يقدموا إلينا طلباً بذلك فيه التفاصيل، وأن يسلموه لنا قبل سفرنا.

ثم عجلنا لهم مساعدة على المصروفات المتكررة للمسجد مثل الكهرباء والماء، وقدرها ثلاثة آلاف دولار أمريكية وسلمناها لهم بالفعل أثناء الاجتماع.

في محراب مسجد الرحمن على يميني رئيس الجمعية المشرفة على المسجد، وعلى يساري الأستاذ رحمة الله بن عناية الله

والمسـجد له مظهر المسجد الإندونيسي الريفي ففيه منارتان صغيرتان بينهما قبة لامعة من المعدن الأبيض.

وقد كتبوا على بوابة السور للمسجد التي يدخل منها إلى فنائه المكشوف البسملة بالعربية كما كتبوا بالعربية على مدخله اسمه (مسجد الرحمن كاتنغ).

المسلمون في كاتنغ:

كاتـــنغ بلدة ناشئة عمرها سنوات معدودة، ولذلك لم يكثر سكانها بسبب قلـــة الســـكان أصـــلاً في استراليا ولكونها لا توجد فيها عوامل جذب خاصة مفاجئة كاكتشاف معادن فيها.

وعـــدد ســـكانها (٥٣٠٠) ساكن فيهم ٣٥٠ مسلماً عدا الأطفال، وأكثر سكانها من الأستراليين البيض ذوي الأصول الأوربية.

والمسلمون يزيدون بسبب الولادات وهي زيادة طبيعية ولكنها أكثر من معـــدل الـــزيادة الطبيعـــية للمواطنين الاستراليين البيض، كما أنه يرد إليهم بعض المهاجرين من جزيرة كرسماس- وإن كان ذلك على نطاق ضيق.

المؤلف في الشارع الرئيسي من بلدة كاتنغ في غرب أستراليا

وقـد أعجبنا بروح هؤلاء الإخوة المسلمين الذين استوطنوا هذا المكان منذ عهد قريب عمالاً في شركة صناعة اللحوم، ثم لم يلبثوا أن سعوا في بناء المسـجد وبـنوه بـالفعل وعمـروه بالعـبادة وتدريس الأطفال مبادئ الدين الإسلامي، وقراءة الحروف العربية حتى يستطيعوا قراءة القرآن الكريم.

وكانـت السـاعة قد بلغت الواحدة والنصف فدعونا إلى الغداء ولم نكن نظن ذلك لأن المسجد بعيد عن البيوت نوعاً ما، ولكنهم كانوا أحضروا الغداء إلى المسجد، فانتقلنا إلى غرفة واسعة ملاصقة للمسجد تابعة له فبسطوا فراشاً مدوا السماط عليه وأحضروا الغداء سمكاً من بحرهم، ولحماً من لحم الغنم من بـرهم الذي يعملون فيه في صناعة تصدير اللحوم، ودجاجاً لا ندري من أين هو، وعماد اللحم الأرز الجاوي بل الشرقي الأصيل في شرقيته وهو الأبيض السـاذج الخالي من الدهون والبهارات، وهو نوعان أحدهما مطبوخ مع مرق مفعـم بالفلفل الحار لا نستطيع الاقتراب منه والثاني ليس فيه من ذلك شيء تعمدوا ذلك حتى يأكل منه من لا يستطيع أو لا يستسيغ الاقتراب من الفلفل.

معنى كاتنغ:

سـألنا الإخـوة عـن معـنى كلمـة (كاتـنغ)؟ فأجابوا: إنها من لغة الـ(أبورجـنس) وهم سكان أستراليا الأصلاء، وإن معناها في لغتهم مكان الاجـتماع، وقد لاحظت بعد ذلك أن عدة أماكن ذكر لي معناها بأنه الاجتماع الـذي يـراد بـه اجتماع القبائل أو الجماعات من (أبورجنس) وهي مختلفة الحروف فأخبرني العارفون بأمرهم أن هذا أمر طبيعي لأن لهم لغات متعددة مخـتلفة حتى قيل إن عدد لغاتهم يبلغ مائتي لغة ولا يستطيع بعضهم إذا كان من قبيلة غير قبيلته أن يتفاهم مع الآخرين.

ودعـنا الإخـوة المسلمين الكرام من أهل (كاتنغ) فاخترقنا البلدة للاطلاع عليها وهـي صـغيرة- كمـا تقـدم- لـذا كان الوقوف في شارعها العام الذي هو الشارع

الـتجاري كافـياً للاطـلاع علـيها لأنك ترى إذا كنت فيه معظم البلدة من الشوارع الأخرى المتفرعة منه وبخاصة أن شوارعها مستقيمة لأنها حديثة التخطيط.

والشيء الذي لاحظته عليها ضيق الشوارع مع أنها حديثة، وكان الأولى بأهلهـا أن يجعلوها واسعة جداً حتى لا تضيق بسكانها في المستقبل، والمراد بذلك ألا تضيق بسياراتهم ومشاتهم.

الميدان الرئيسي في بلدة كاتنغ

وقـد أخـبرنا أهلها أن الأوربيين وهم جمهرة السكان فيها يأتون إليها خارجيـن مـن مـدن أو أرياف أخرى من أجل رخص الأراضي والمنازل، وبعضهم يكونون من الزراع الذين لهم مزارع قريبة منها.

ووجدنـا الحوانيـت في الشارع مغلقة لأن اليوم هو الأحد، فوقفنا في شـارعها الطويل حيث التقطنا صوراً تذكارية فيه، وقد رأيت أن الأبنية التي علـيه كلهـا من طابق واحد ماعدا واحداً من ثلاثة طوابق هو فندق فيدرال (فـيدرال هوتيل) والعادة أن تكون المنازل والأبنية على الشارع الرئيسي في المنطقة التجارية من عدة طوابق حتى في المدن الصغيرة.

غادرنـا بلـدة (كاتـنغ) قبيل الثالثة بقليل مسرورين بما رأيناه من حال الإخوة

المســلمين فــيها ولله الحمــد حاملين معنا ما طلبوه في أوراق من المساعدة على بناء فصول دراسية ملحقة بالمسجد لتدريس أبنائهم مبادئ الإسلام وحروف اللغة العربية.

وقــد رأينا أن نعود إلى بيرث من طريق آخر غير الذي جئنا منه، من أجــل المزيد من رؤية هذه المنطقة الجنوبية الغربية من أستراليا التي لا يظن المرء أنه سيأتي إليها مرة أخرى إلا إذا أراد الله ذلك.

بلدة كوزن اب:

المؤلف في بلدة كوزن أب بين كاتنغ وبامبوري

قطعــنا أكــثر مــن ستين كيلومتراً من طريق لا نرى منه إلا مزارع الحيوان من الأبقار والأغنام وبقايا حقول القمح الذي حصدوه وأطلقوا الأغنام ترعى فيه تأكل بقايا قصبه وما نبت معه من عشب حتى وصلنا بلدة صغيرة اسمها (كوزن أب) بمعنى كوزن العليا.

وهــي مــتفرقة المنازل، ومع ذلك وجدنا في سوقها التجاري الذي هو الطريق الرئيسي الذي نسير عليه منازل من أكثر من طابق واحد.

وكـــل مـــا فيها جيد من الأبنية والطريق وإشارات المرور والأرصفة الجيدة وكأنها مدينة كبيرة.

ويبلغ عدد سكانها (٣٢٠٠) نسمة ليس فيها أحد من المسلمين، إلا من لم يعـــرفه المسلمون في المنطقة كأن يكون استوطنها حديثاً، أو إنه آثر الانعزال عن اخوته المسلمين في المنطقة.

ولـــم نقـــف فـــيها إلا لحظات للتأمل والتقاط صورة تذكارية، استأنفنا السير بعد ذلـــك مع طريق من مستوى الطريق الذي كنا نسلكه من قبل فهو جيد الزفت معتنى به وبخاصـــة من جهة كثرة إشارات المرور، إلا أنه ضيق، بحيث إنه لا يتسع لأكثر من ســـيارتين متقابلتيـــن قـــد قسموه بينهما بخط أبيض، ولكنهم اعتنوا عناية كاملة بأماكن الـــتجاوز وعـــدم الـــتجاوز فيه، وذلك بإبراز خط متقطع في حالة، وجعل الخط الذي يفصـــل طريق الذاهب والآتي خطين عند عدم جواز التجاوز بسبب انحراف الطـــريق أو كون السائر لا يستطيع أن يرى السيارات المقابلة من مسافة بعيدة.

ولاحظـــت قلـــة القرى والتجمعات السكنية في هذه المنطقة، وذكرت بلاد الهند والصين التي يرى المرء فيها القرى والمدن تكاد تكون متلاصقة في أغلب المناطق.

المؤلف في إحدى القرى بين كاتنغ وبامبوري في غرب أستراليا

ومررنا بآلاف الأغنام ترعى في المزارع التي يسمونها مفتوحة، وهي التـــي لا تكون الأغنام فيها محصورة في حظائر، وإنما هي مطلقة، ورأيتهم وضـــعوا فـــي أماكـــن رعيها بركة ماء وسط المرعى الذي يكون محصوراً بأسوار من الأسلاك الشائكة تشرب منها الأغنام.

نهر بلاك وود:

مـــررنا بنهر صغير اسمه: (بلاك وود) عنده قرية اسمها: بوي أب بروي، وهـــي صغيرة إلا أنها حسنة التنظيم، جميلة المنازل، وقد وصلناها في الخامسة إلا الثلـــث، وكـــثرت بعدهـــا الأغنام الرمادية اللون وهكذا أغنامهم من الضأن تكون رمادية، ذات لون غير بهيج إذا رآها المر على البعد.

ويلاحـــظ المرء أن هذه الأغنام كلها ذات صوف كث رغم اعتدال الجو وعـــدم بـــرودته، والغالب المعروف على الحيوان بصفة عامة وعلى الأغنام خاصة أنها إذا كانت تعيش في بلاد باردة أو يأتيها فصل بارد فإنها تكون ذات صـــوف من أجل أن يقيها البرد، أما إذا كانت تعيش في بلاد ذات حر مستمر فإنه لا يكون عليها صوف.

غـــير أن هـــذه الخراف الأسترالية هي من سلالة أغنام إنكليزية عاش أســـلافها في بلاد باردة هي الجزر البريطانية لذلك صارت ذات أصواف كثة ناعمـــة وقد اختاروها لأنهم يستغلون صوفها مثل لحمها، وقال لي أحدهم: إن المزارع الذي يربي الأغنام يكسب من أصوافها طول حياتها مثلما يكسب من بيعها لحماً أو أكثر.

وأذكـــر بهذه المناسبة أنني في زيارة سابقة لأستراليا صليت الجمعة في مســـجد (لاكمبا) وهو مسمى على اسم منطقة لاكمبا التي يقع فيها المسجد في مديـــنة ســـدني، وكـــان الوقـــت وقت انتخابات برلمانية فرأيت عند الباب ما استرعى انتباهي وهو أناس مظهرهم غير إسلامي من الأستراليين البيض، قد وقفوا خارج المسجد وبعضهم كان قاعداً، وبعد انقضاء الصلاة، كانت جمعية

لاكمبا الإسلامية التي تشرف على المسجد قد صنعت لنا مائدة غداء في بيت الإمام الملحق بالمسجد، فأخبروني أن هؤلاء القوم الذين كانوا عند باب المسجد من الخارج هم من حزب العمال الأسترالي ومعهم الأمين العام للحزب، وقد جاءوا إلى المسجد في يوم الجمعة هذا ليخطبوا في المصلين صلاة الجمعة عند خروجهم من الصلاة، يطلبون منهم أن يصوتوا للحزب في الانتخابات، ثم قالوا: ألديك مانع من أن ندعو الأمين العام للحزب إلى الغداء معنا، فهو شخص كبير من المقرر أن يتولى منصباً مهماً في الحكومة إذا نجح حزبه في الانتخابات؟

فقلت: لا، وقد دعوه بالفعل، وجلس بجانبي على المائدة، فقلت له فيما قلته من أحاديث عابرة: إن لحم الخراف النجدية هو أغلى اللحم في بلادنا، وربما في البلدان المجاورة فهل فكر أحد في أستراليا بتربية الخراف النجدية؟

فقال: أنا أعرف أن الخروف المحلي في منطقة الرياض يباع بأكثر من ضعف ثمن الخروف الأسترالي إلا أن الخراف النجدية ليس لها أصواف ناعمة كثيرة مثل التي للخراف الأسترالية، وعندنا يعتبر المزارعون أن الصوف دخل مهم من دخلهم، وهذا لا يكون في الأغنام السعودية.

هذا ونحن نواصل السير ولا زلنا نرى أماكن حقول القمح التي بقيت أصول قصبها صفرا تغطي الأرض.

ومررنا بجثة (كنغرو) قد دهسته سيارة وبقيت ملقاة على الطريق، وذلك لوجوده بكثرة في هذه المنطقة.

وسألتهم عن الآفات التي تصيبه في هذه الغابات وعما إذا كانت توجد وحوش تأكله فذكروا أن الوحوش التي تأكله بمعنى أنها تطارده وتصيده كالأسود والنمور والذئاب غير موجودة، كما أن المواطنين الأصلاء الذين كانوا يأكلونه ولا يعرفون من الحيوان المأكول غيره قد تركوا ذلك، لأنهم وجدوا غيره من الطعام الذي يسهل الحصول عليه، ولذلك كثرت أعداده مثلما كثرت أعداد الأرانب البرية.

مزيد من مزارع تربية الأبقار:

واصـــلنا السير فواصلت مزارع الأبقار مرافقتنا على الطريق مع العلم بأن هذه المنطقة ليست إلا منطقة واحدة من المناطق الأسترالية الشاسعة التي تربي الأبقار وتستغل الأبقار في تجارة اللحوم.

ومـــن الطريف في باب مقارنة ألوان الحيوان الذي نراه الآن أن ألوان الغنم من الضأن لا تتغير وهي اللون الرمادي ولا توجد أخرى منها على حين أن ألـــوان الأبقـــار متعددة من السود إلى الصفر: صفرة النحاس إلى غيرها، وذلك راجع إلى أنهم استوردوا منها سلالات عديدة من بلدان مختلفة كالأبقار الهولندية بخلاف الأغنام التي هي الأغنام الإنكليزية.

وأذكـــر أنني رأيت في محافظة (سان باولو) في البرازيل غير بعيد من مديـــنة (بريـــتوس) مزرعة للثيران القوية استوردوا أصولها من أنحاء العالم وهـــي مختلفة الألوان والأحجام إلى درجة عظيمة وقد ذكرت ذلك في كتاب: (الحل والرحيل، في بلاد البرازيل).

بلدة دوني بروك:

الشارع الرئيسي في بلدة دوني بروك في غرب أستراليا

وصلنا إلى بلدة دوني بروك وتقع في منطقة خصبة تزرع أنواع الفاكهة المتنوعة من التفاح الأخضر إلى الكمثرى إلى العنب.

وقد أعجبتني أرصفتها التي زرعوا فيها الزهور المتعددة الألوان وأكثر أنواعها الأصفر، وذلك أن هذا الفصل فيها هو فصل الربيع.

وألطف ما رأيته في ميدان فيها ضيق، ولكنه مستطيل على الشارع أنهم نصبوا فيه ألعاباً منوعة للأطفال منها أراجيح، الأرجوحة الواحدة منها على هيئة تفاحة من التفاح الذي تنتجه المنطقة وأكثره من التفاح الأخضر الكبير، وقد وقفنا فيها قليلاً، حيث التقطنا صوراً تذكارية.

وكل ما يراه المرء فيها جميل من الأناسي والشجر والزهور إلا أن شيئاً واحداً كان يكدر ذلك كله هو وجود الذباب الأسترالي الملح- من الإلحاح- وهو ذباب صغير الحجم بالنسبة إلى الذباب الموجود في بلادنا وإن لم يكن صغره بالغاً.

واسترعى انتباهي أحد المرافقين إلى شيء طريف وهو أن بعض القبعات وبخاصة قبعات النساء يجعلون لها ذلاذل وهي التي تكون كالخيوط تتدلى منها وفي أطرافها السفلى ما يشبه الكرة الصغيرة في حجم حبة الزيتون ذكروا أن من أسباب صنعها أن الذباب إذا ألح على لابسها أو لابستها حرك رأسه فتحركت تلك الخيوط المعلقة بالقبعة ونفرت الذباب عنه.

وقد رأيتها في هذه البلدة على رؤوس بعض النساء ولم أكن انتبهت إليها قبل ذلك.

وقفة في سوق للفاكهة والخضروات:

وقفنا في البلدة التي تبين أنها أكبر مما ظنناه أول ما وصلنا إليها فدخلنا متجراً كبيراً لبيع الفاكهة والخضروات وما تفرع منها من إنتاج الزراع ليس فيه على كبره غيره فكان بالنسبة إلينا معرضاً أو كالمعرض للمنتجات الزراعية، لأنهم يكتبون على الفاكهة أو الخضروات اسمها وثمنها، فكانت هذه فرصة لمعرفة

الأسعار عندهم للفاكهة والخضروات في هذه المنطقة المنتجة لها.

فكـــان من ذلك أن القرع وهو الموجود عندنا في المنطقة الوسطى من بلادنا وســـعرها دولاران و٤٩ ســـنتيماً للكيلوقرام الواحد، أي نحو دولارين ونصف من دولاراتهم الأسترالية التي يعادل الواحد منها ريالين سعوديين ونصفاً.

وهـــذا غـــلاء فـــأحش إذ تكـــون القرعة المتوسطة التي تزن ثلاثة كيلوات بنحو ثمانـــية عشـــر ريالاً، وأوضح من ذلك أن كيلو الطماطم هو بالسعر نفسه أي دولارين و٤٩ سنتيماً أما البصل فإنه رخيص إذْ يبيعون الكيلو الواحد منه بـــ ٦٠ سنتيماً.

والـــتفاح الأخضر الذي تنتجه المنطقة قد جعلوه في أكياس مشبكة من اللدائـــن في كل كيس عشر ثمرات من ثمرات التفاح المتوسطة الحجم وثمنها ستة دولارات وهي خمسة عشر ريالاً ، فكل حبة أو لنقل كل تفاحة واحدة منه بـــريال ونصف. وعرضوا الدراق الذي هو نوع من أنواع الخوخ موجود في البلدان الشمالية، بثلاثة دولارات للكيلو، وهو إنتاج هذه المنطقة، ورأيناه فيها على شجره ونحن نسير في الطريق، والكمثرى الذي ينتج محلياً أيضاً بـــ٦٩ سنتيماً للواحدة أي أكثر قليلاً من ريال ونصف.

والبصـــل الأخضـــر يبيعون الحزمة الواحدة التي تباع عندنا في الرياض في الأحـــوال المعـــتادة بريال واحد بدولار أسترالي أي ريالين ونصف، ولكنها أنضر من بصلنا وأنقى، فليس فيها ورق أصفر أو ذاوٍ أو يابس.

أنواع الفلفل البارد:

وهكـــذا شـــاعت تسمية الفلفل غير الحارق في الفم بالبارد، وهو ليس بارداً في الحقيقة، وإن يكن غير حار بالنسبة إلى الفلفل الحار.

ومـــن الطـــريف أنهم عرضوا في مكان واحد من المتجر ثلاثة أنواع متجاورة منه متفقة في كل شيء خارجي من الشكل والحجم، إلا أنها مختلفة

الألـــوان مـــا بيـــن حمر وصفر وخضر، واختلاف ألوانها نتج عنه اختلاف أسعارها، فالأصفر كتبوا عليه سعره ٧ دولارات للكيلو، وبعده الأحمر بخمسة دولارات ثم الأخضر بأربعة دولارات.

وأما الفاصوليا فإن الكيلو منها بخمسة دولارات.

وينبغـــي أن نلاحظ أن هذه الدولارات هي الأسترالية التي يعادل الواحد منها ثلثي دولار أمريكي.

ويبيعون الخيار بخمسة دولارات للكيلو أي اثني عشر ريال ونصف.

والكرز باثني عشر دولاراً أي ثلاثين ريالاً للكيلو.

التمر أغلى المعروضات:

والشـــيء الـــذي جذب اهتمامي لكوني من هواة النخل إن صح التعبير فلدي بســـتانان مـــن بســـاتين النخـــيل في بريدة أحدهما في بيتي غرسته بنفسي والآخر اشـــتريته مغروســـاً مثمراً ولكنني غرست فيه نخلاً كثيراً، لذلك صرت أميز التمور تمييزاً جيداً بحيث أعرف أنواعها من طعومها فضلاً عن منظرها.

ولهـــذا السبب سارعت مع الرفقة أنظر إلى تمرات موضوعة في علبة مـــن اللدائـــن صغيرة مكتوب عليها أنها تزن كيلو قرام واحد وأنها من إنتاج أمريكـــي وثمنها ١٨ دولاراً أسترالياً أي ٤٥ ريالاً للكيلو الواحد وهو تمر لم أشتره ولو للتجربة.

أما منظره وهو ظاهر من علبته الشفافة فإنه ليس جيداً لأنه كبير الحجم، أسود اللون غير صافي الجلد، وما شبهته إلا بتمر أم الخشب الذي يباع عندنا في القصيم بنحو ثلاثة ريالات أو أربعة للكيلو أي أقل بكثير من دولارين.

وقلـــت في نفسي: ماذا لو ذاقوا السكرية والبرحية والسباكة ونبتة سيف والخلاصة الأحسائية، والسكرية الحمراء وروثانة المدينة المنورة؟

لا شـــك فـــي أنهم لو فعلوا ذلك لم يقولوا على هذا التمر إنه جيد، إن كانوا قالوا ذلك.

وطـــاب لـــي الإطلاع على أسعار الفاكهة الأخرى، وإن كان ذلك قد يمل القارئ الكـــريم، ولا يـــرى فيه ما يستحق التسجيل، ولكنني أرى غير ذلك لأنه يؤكد ما لاحظته فـــي أماكـــن عديـــدة مـــن العالم في بلاد تجري فيها الأنهار أو تكثر فيها الأمطار ومع ذلك تكون أسعار الفاكهة والخضروات فيها أغلى مما هي عندنا بمراحل.

فاطلعـــت على سعر الموز وهو ما ينتج في المنطقة فإذا به أرخص المعروضات، إذ كتب عليه أن الكيلو بدولار واحد أي ريالين ونصف وهذا رخيص.

وأمـــا البطيخ فالشمام وهو (الجرو) عند العامة يباع الكيلو منه بدولار ونصـــف وهذا سعر معتدل، ولكن الغلاء في المشمش إذ كتبوا عليه أن الكيلو سعره ٥ دولارات، واللـــيمون (البنزهـــير) وهـــو الحـــامض الصغير يباع الكيلو بـــ ١٦ دولاراً وربما كان مستوردا من خارج المنطقة.

والأغـــرب من ذلك أن الأنبة وهي (المانجو) الذي تنتجه منطقة قريبة ثـــلاث دولارات للحـــبة الواحدة، وقد أوقفت عليها جميع المرافقين لئلا أكون مخطئاً في قراءة ثمنه عليه فأجمعوا على ذلك.

وعـــندما أبديت استغرابي لغلاء الفاكهة وأنواع الخضروات بالنسبة إلى رخـــص أسعارها في بلادنا قال لي الأخ (حمدي عيد) إن سبب ذلك يعود إلى أنها في بواكيرها وبعضها يرخص بعد زمن.

فقلـــت له: إنـــنا الآن في أول فصل الصيف وقد مضى فصل الربيع، وليست هذه المنطقة ببلاد باردة بل شتاؤها معتدل، مما يستبعد معه ذلك، والله أعلم.

مدينة بامبوري:

تركنا بلدة (دوني بروك) الزراعية، وواصلنا السير مع الطريق فوصلنا إلى مدينة (بامبوري) فكان دخولنا إلى المنطقة الصناعية فيها.

ويـــبلغ عدد سكانها (٥٠) ألف نسمة من بينهم عشرون مسلماً، وقال لي أحد المســـلمين: إن المســـلمين يبلغون فيها ٢٠ أسرة لهم جمعية، ولكن ليس لهم مسجد، ولا يصلون جمعة ولا جماعة، إلا في بيت أحدهم في بعض الأحيان كما أخبرونا.

المؤلف في الشارع الرئيسي في مدينة بامبوري في غرب أستراليا

دخلـــنا وسط المدينة حيث الشارع التجاري الرئيسي فيها فرأيناه مع ما يتفرع مـــنه مـــن شـــوارع من أفخر وأنظف الشوارع في أستراليا، وربما في العالم رغم ضـــيق شوارعها وميادينها الواقعة في قلبها، فهي في غاية النظافة وأرصفتها على حالـــة من العناية بها عظيمة حتى إنها أنظف وأفضل من الأرصفة في مدينة بيرث مع عدم وجود عيوب في أرصفة بيرث.

مطعم المسلمين:

رغـــم قلـــة المســـلمين المعروفيـــن في هذه المدينة كما تقدم فإن فيها مطعماً للمســـلمين لا يبـــيع إلا اللحـــم الحلال أكله، وهو الذي ذبحه مسلمون، أو ذبح على الطـــريقة الإســـلامية، واســـمه (مـــاد القـــاي) وكتـــب عليه أنه منزل طعام جميع الآســـيويين، و أقـــاموا عـــند بابه تمثالاً لشخص ملايوي الملامح، بل عليه ملابس

الملايويين التقليدية، ومن ذلك الفوطة التي يلفونها حول أوساطهم فوق الملابس، وطربوش الطباخ المرتفع. وهذا المطعم لأخ مسلم ملايوي من سنغافورة.

شربنا الشاي في هذا المطعم، ولم نكن بحاجة إلى طعام بعد الغداء الدسم الذي تناولناه في مسجد بلدة (كاتنغ).

هذا وتبعد مدينة (بامبوري) هذه ٢٠٥ كيلومترات عن مدينة بيرث عاصمة الولاية وهي جهة الجنوب من بيرث.

واسترحنا على شرب الشاي والحديث مع هؤلاء الإخوة المسلمين.

على شاطئ البحر:

تقع مدينة (بامبوري) مثل بيرث على شاطئ البحر لذلك قصدنا الشاطئ لرؤيته ليس لكونه شاطئاً بحرياً مجرداً، وإنما لكونه نهاية المسكون من القارة في هذه الناحية ولا يحاذيه من اليابسة شيء قبل أن يصل إلى القارة القطبية الجنوبية، إلا ما كان من رأس القارة الأمريكية الجنوبية وهو أقصاها جهة الجنوب الذي يكاد يخلو من السكان، ومن نيوزلندا.

المؤلف في شاطئ البحر في مدينة بامبوري في أقصى غرب أستراليا الجنوبي

ولـم أر شـاطئ الـبحر في المدينة فاخراً كما في قلبها، بل ليس معتنى به ويـرتفع عـن شاطئ المحيط الذي هو المسمى بالهندي مما ذكرني بالشاطئ الذي تقـع علـيه مدينة (ليما) عاصمة جمهورية بيرو، فهو مرتفع أيضاً، ولكنه يقع على المحـيط الهادئ فيما يصح أن يسمى بالجانب الآخر من القارة، وقد ذكرت ذلك في كـتاب (علـى قمم جبال الإنديز) المطبوع، وكتاب: (رؤية جديدة للجانب الأبعد من القارة الأمريكية الجنوبية) الذي لا يزال مخطوطاً.

ولا تـبعد نهايـة العالم من جهة الجنوب من هذا الماء إلا بنحو ٣٠٠ كيلومتر، حيث تنتهي قارة أستراليا وتنتهي معها اليابسة من تلك الجهة.

وكنـت جعلت عنوان كتابي الذي كتبته عن نيوزلندا وتسمانيا: (إطلالة على نهاية العـالم الجنوبـي) وهـو كتاب مطبوع، طبعه النادي الأدبي في مكة المكرمة، وذلك أن جزيرة تسمانيا وجزيرتي (نيوزلندا) تعتبر نهاية العالم الجنوبي من تلك الجهة.

ولـم نطـل المكـث في هذا الشاطئ وإنما واصلنا السير في المدينة فمررنا بميـنائها، وهـو ميـناء مهـم تصدر منه بضائع استراليا المعروفة التي من أهمها المواشـي واللحـوم المجمدة والقمح والشعير التي تنتجها المنطقة إلى جانب الفحم الحجري الموجود فيها، ويستعمل في بعض البلدان في توليد الكهرباء.

مع الإخوة المرافقين في ميناء بامبوري في غرب أستراليا

والجو الآن ربيعي معتدل خالٍ من الحر رغم دخول فصل الصيف في هذه المنطقة الذي يدخل في شهر ديسمبر.

ثـم وصلنا منطقة من المدينة اسمها (استرلند) بعضها من طابق واحد مثل أكثر بيوت المدن الأسترالية.

وهي كثيفة التشجير حتى بيوتها تختفي أو تكاد خلف أشجار الطريق وما خلفها من أشجار أخرى، ثم وقعنا في ريفها وهو خصب جيد المظهر، وأجمل ما فيه بيوت الفلاحين التي تكون منفردة قليلة لسعة الأرض وقلة السكان.

هـذا ونحـن منذ مغادرة مدينة (بامبوري) نسير على الطريق الساحلي، وإن لم يكن الطريق دائماً على شاطئ البحر، بل يكون داخلاً في اليابسة.

بلدة وانوفا:

وصـلنا بلـدة صغيرة اسمها (وانوفا) نشأت بسبب تربية قطعان الماشية في منطقـتها، ولـم تكـن موجـودة قبل ذلك، وقد ازدهرت بازدهار هذه المهنة التي يسمونها أحياناً بصناعة اللحوم، واللحوم لا تصنع وإنما تعد وتعمل الأسباب لها.

حديقة حيوان صغيرة:

وصل بنا الطريق إلى قرية فيها محطة لبيع وقود السيارات، ولكن فيها شيئاً مهما آخر وهو أن صاحب المحطة قد ارتبط طائفة من الحيوان الغريب فـي أقفـاص كأقفـاص الحـيوان في حدائق الحيوان، وذلك من أجل جذب المشترين إليه، حتى يتسلى أطفالهم ومن لم ير مثل هذه الحيوانات كثيراً على مشاهدتها، والتفرج بمراقبة حركاتها وتصرفاتها.

وبجانب هذه المحطة كما في غيرها مقصف فيه طعام وشراب.

وكان المرافق وسائق سيارتنا (إسماعيل فريدركز) قد أخبرنا بأننا يمكن

أن نلمس الكنغرو بل ونُطعمه في هذا المكان فوصلنا والشمس قد غربت، ولكن لا تزال في جهة المغرب بقية من نور فأسرعنا إلى رؤية الحيوان الذي من أهمه (الكنغرو) حيوان أستراليا الشهير، فوجدناه قد مرن على الاقتراب من الناس والأكل من أيديهم ما يقدمونه له من طعام.

المؤلف يطعم الكنغرو من وراء الشباك في محطة ليك كلفنتن في غرب أستراليا

وكان ذلك الطعام غريباً لأنه من العشب النابت تحت أقدامنا نقلعه بأيدينا، ونقدمه له من خلال سور الحديد المحيط بمكانه، وهو مكان واسع فيسرع ويأكله من أيدينا، وكان أرخص طعام لحيوان، وأسرع شيء في الحصول عليه.

وقد أسرع النعام فشارك الكنغرو في الاقتراب من الناس الذين كانوا يمدون إليه أيديهم بأي شيء يجدونه حتى بالحصا الصغار فتمد النعامة عنقها، وتلتقطه بمنقارها، وقد استمتعنا بذلك، وبخاصة الاقتراب من الكنغرو الذي كان فيه الصغير والكبير، وكلها تتطلع إلى ما يكون في أيدي المتفرجين من عشب أياً كان ذلك العشب كما تخيلته، لأنني رأيتها تأكل عشباً نقتلعه من الأرض تحتنا ونقدمه لها.

وربمـــا كان أصحابها لا يطعمونها إلاّ في الليل حيث تجوع في النهار فتأخذ الطعام من الناس.

ولا أدري ما إذا كان الكنغرو قد استأنسه مستأنس في حدائق خاصة أو نحوهـــا مـــثلما استؤنست الغزلان، وذلك في غير حدائق الحيوان المخصصة لهذا الغرض التي يكون فيها حتى الحيوان المتوحش الشرس، ولكنهم يحمون الناس منه بوضعه في أقفاص قوية كما هو معلوم.

وإنمـــا المـــراد بالاســـتئناس أن يـــترك الحيوان مع الناس في البيوت والحدائق الخاصة بهم، ولا ينفر منهم إذا اقتربوا منه كما يكون الحال عليه مع الغنم والبقر، بل والكلاب والقطط.

وفـــي قفص خاص في هذا المكان ببغاء بيضاء من نوع خاص سريعة التكلم بما ينطق به الإنسان الذي يقف عليها.

وقـــد فعـــل ذلك المرافقون ولكن باللغة الإنكليزية، والغريب العجيب أنني عندما كلمـــتها بالعربـــية، أمالت رأسها كالمتعجبة أو المستغربة، وسكتت كالمفكرة بشيء مهم، فلمـــا كـــررت الـــنطق بالعربـــية رددت مـــا قلـــته بلفـــظ غير واضح، بخلاف الكلام بالإنكلـــيزية، وكأنمـــا كانـــت عادتهـــا في التكلم بالإنكليزية هي الغالبة عليها، وإن كان الأمـــر يحـــتاج إلى دراسة واضحة، ولكن المعروف أن الآدمي يصعب عليه التلفظ بلغة لم يألفها لسانه، وإن كان فصيحاً في النطق بلغته كما هو معروف.

صلاة في ليك كلفتن:

وكـــدت أقـــول: صـــلاة في بحيرة كلفتن، لأن ليك، معناها بحيرة في الإنكليزية، وقد سمي المكان بهذا الاسم لقربه من بحيرة تعرف ببحيرة كلفتن، ولكننا لم نصل البحيرة فضلاً عن أن نصلي بجانبها.

ويقـــع هذا المكان في منطقة (وارونا) ويبعد ١٢٠ كيلومتراً جهة الجنوب عن (بـــيرث)، صلينا على عشب غير نضر، بالقرب من الحيوانات الأليفة هذه، بعد أن

توضـــأنا مـــن صنبور مياه كان صاحب المحطة قد أعده وأعد فيه خرطوماً ضيقاً ليأخذ منه أرباب السيارات.

وكانت الأرض قد أصابها مطر في هذا الصباح فكان العشب ندياً، ومع ذلك هو خشن، لبعد عهده بالمطر قبل هذا اليوم.

وقد صلينا المغرب والعشاء جمعاً مع مرافقينا لكونهم يعتبرون- أيضاً- من المسافرين لأنهم ذهبوا إلى أبعد من مسافة القصر ٣ مرات.

ولـــم نكـــن نحتاج إلى من يعرفنا بجهة القبلة- لأننا- ونحن في مكان مفـــتوح- قـــد عرفنا مغيب الشمس، والقبلة في هذه البلاد هي يمين المغرب، مثلما أنها في بلادنا يسار المغرب.

الذباب والبعوض:

حكى الجاحظ في كتاب الحيوان أن علي بن الجهم شكا إليه شيئاً قد آلم الجـــاحظ نفســـه وهـــو أنه إذا حاول النوم في نهار الصيف، وكان ساكناً في البصـــرة وهي شديدة الحرارة كان إذا أغلق باب المكان ونافذته وأسدل عليه الســـتائر بحيـــث يكـــون مظلمـــاً هجم عليه البعوض، وإذا أراد التخلص من البعوض وفتح الباب والنافذة للنور هجم عليه الذباب!

قال: وقال علي بن الجهم: اجعل المكان بين النور والإظلام حتى يختلط الذباب بالبعوض، وقد يأكل الذباب البعوض فتتخلص منهما.

ونحـــن أصابنا ما يقرب من ذلك الآن فقبل غروب الشمس كان الذباب الملح لا يكاد يترك لنا فرصة للراحة، فلما غربت الشمس، وأظلم الجو ذهب الذباب، ولكن هجمت علينا أفواج من الحشرات الصغيرة اللاسعة أمثال البق والـــبعوض والجرجس، فصارت تلهب الأطراف فترم أي يصيب الورم مكان لسعها حتى بقيت آثار لسع بعضها فينا أياماً.

وذكـــرت بذلك أيضاً مثلاً عند عامة أهل الشمال من بلادنا المجاورين للعراق وهـــو قولهم (في الليل بقّ وبالنهار الزريقي) والزريقي: تصغير الأزرقي، والمراد به الذباب الأزرق الذي قال فيه الشاعر العربي القديم:

إنّي امرؤ تجد الرجال عداوتي وّجْدَ الرِّكاب من الذباب الأزرق

العودة إلى بيرث:

أســـرعنا الذهـــاب عن هذا المكان عائدين إلى بيرث وجدَّ بنا السير فلم نقف إلا عند مطعم تركي في المدينة يعرفه الإخوة المرافقون، وقد كتب عليه كلمة (كباب) بالحروف اللاتينية فتعشينا عنده، ونحن ستة عشاء خفيفاً كان مما فيه مما افتقدناه اللبن المخيض الذي يسميه الأتراك (عيران) وهو كذلك يسمى فـــي شـــمال ســـوريا مثل مدينة حلب، وكنت ظننت أن الكلمة تركية عربها العرب، فرأيتها بعد ما راجعتها في القاموس عربية أصيلة أخذها منا الأتراك.

ثم عدنا إلى فندقنا الجميل النظيف (فندق ميركر) وهو من ذوات النجوم الخمس كما سبق.

يوم الاثنين: ١٤١٩/٨/١٨هـ- ١٩٩٨/١٢/٧م:

الزحام في القلب التجاري لمدينة بيرث

نزلنا بعد الإفطار ومعنا حقائبنا حيث وجدنا الأخ الكريم الذي كان سائقنا في السيارة التي استأجرناها وسافرنا بها أمس (إسماعيل فريدركز) وأصله من جنوب إفريقية ينتظرنا بالسيارة، ونسيت أن أذكر أن الأخ إسماعيل هو رئيس جمعية تجهيز أموات المسلمين، وهذه الجمعية تتقاضى من كل مسلم مشترك أي يدفع لها اشتراكاً شهرياً خمسة دولارات أسترالية ما دام حياً في مقابل أن تتولى تكلفة دفنه وتجهيزه إذا مات.

وهذا الاشتراك يدفعه القادرون عن كل أسرة كل شهر ويشمل تجهيز جميع أفراد الأسرة عند وفاتهم، ولكن العاجز مالياً عن الدفع يكتفون منه بدولارين ونصف، مع أنه لا يوجد في أستراليا فقير لا يستطيع أن يجد الطعام الذي يقيم أوده لأن الدولة تدفع للجميع حتى المهاجرين الذين يحملون إذناً بالإقامة مبالغ كافية مجانية لدفع غائلة الجوع، أما الشخص المسلم غير المشترك الذي لا يوجد من يدفع عنه تكلفة التجهيز والدفن فإن الجمعية تقوم هي بذلك من دون مقابل.

وأمـــا القـــادر مالـــياً الذي ليس مشتركاً فإنهم لا يمتنعون عن تجهيزه ودفنه ولكنهم يرسلون (الفاتورة) إلى أهله أو ذويه بغية أن يدفعوا ما فيها.

وهذه طريقة غريبة من هذه الجمعية العجيبة.

وقـــال لـــي أحدهـــم: إن بعض المسلمين يدفعون الاشتراك من أجل أن تتمكـــن الجمعية من البقاء والاستمرار في العمل حتى وإن كان الشخص غنياً أو واثقـــاً مـــن كون ورثته سيدفعون ما تنفق الجمعية أو غيرها على تجهيزه ودفنه من مال.

وبهـــذه المناسبة أخبرونا أنه يوجد قسم مخصص للمسلمين في المقبرة العامـــة لا تختلط فيه قبورهم بقبور غيرهم، وأن الحكومة قد أذنت لهم بالدفن حســـب الطريقة الإسلامية، ولم تجبرهم بما تلزم به المسيحيين من الدفن في تابوت ذي صفات خاصة.

تل بيرث:

يسمونه (بيرث هلّ) لهذا المعنى وهو تل جبلي غير بالغ الارتفاع مطل على مدينة (بيرث) القديمة ووسطها التجاري الواقع على شاطئ البحر.

صعدنا إليه من الفندق القريب الذي كنا فيه وهو واقع في القلب التجاري الفاخـــر مـــن المدينة مع طريق يشق غابات غير كثيفة من الأشجار المعمرة العالية السوق- جمع ساق- فوصلنا بسرعة إلى ظهره حيث يشرف على هذا الجزء المهم من المدينة، وشاطئها الجميل.

ومع أن اليوم هو يوم عمل، فإننا وجدنا السيارات فيه قد ملأت المواقف أو كـــادت مـــع أنهم جعلوا المواقف مثل الأماكن التي ينظر منها الإنسان إلى المدينة ذات مستويات متعددة.

مع إسماعيل فردريك عند جذع الشجرة الضخمة في تلة بيرث

فكانت الوقفة في أعلاه عند جذع شجرة ضخم، بل هائل الضخامة ليس ذلك لغلظـــه، وإنما أيضاً لطوله واستقامته، ويكفي أن تعرف أنه يزن ٣٢٠٠ كيلوجرام أي ثلاثة أطنان وخمساً- وهو الجزء الواحد من الأجزاء الخمسة من الشيء-.

وقـــد اعتنوا به عناية خاصة فأحاطوه بسلسلة من الحديد، بحيث لا يستطيع الإنسان أن يقترب منه إلى درجة أن يحتك به جسمه، بل يراه وبينهما هذه السلسلة التي بعدها فراغ قبله، وكتبوا تاريخه وأن عمره يقدر بثلثمائة وستين سنة.

وهذا معناه أنه بدأ بالنمو قبل أن يصل الأوربيون إلى القارة الأسترالية، وربما قبل أن يفكروا في ذلك.

واسم شجرته (كاري) ذكروا أنها من أعظم الأشجار المعروفة في العالم.

القلب التجاري لمدينة بيرث واقعاً على البحر كما يرى من تلة بيرث (تصوير المؤلف)

ويطل (تل بيرث) على شاطئ البحر الأخضر المياه، قبله رمل أصفر، ترفرف عليه أشجار خضر، ويطل جانب منه على قلب المدينة التجاري المسمى في الولايات المتحدة بالداون تاون وهو واقع على شاطئ البحر الذي يؤلف شكل هلال جميلاً، وبجانبه أبنية عالية متعددة الطبقات من قلب المدينة التجاري، وذكر أن أحد هذه الأبنية يتألف من ٥٢ طابقاً وأنه أعلى المباني في المدينة، وفيه مصرف كبير مشهور من مصارفهم.

والتل مكسو مع سفوحه بأشجار عالية معمرة لا شك في أن بعضها كان قد بدأ نموه قبل أن يصل الأوربيون إلى المنطقة، وهي من نوع من الأشجار يمكن أن يسمى بالأشجار الأسطوانية لاستقامة ساق الشجرة واستدارته، وعدم وجود النتوءات فيه.

وقد حموا هذه الأشجار، بل شددوا في حمايتها مع ما على سفوح التل من الأشجار الأخرى، حتى إن الالتزام بالتعليمات المتعلقة بمواقف السيارات فيها صارت لا تقبل التهاون فضلاً عن التجاهل لها، وشرطة المرور تراقب ذلك مراقبة شديدة، وقد رأيت إحداها في المنطقة.

والجـــو الـــيوم صـــاح شـــامس، لـــيس حاراً، بل يشبه جو مدينة دمشق في الصـــيف، إلا أن شمسه أحر من شمسها- إن صح التعبير- فالشمس في استراليا- على وجه العموم- هي حارة بل هي أشد حرارة منها في بعض البلدان الحارة.

المؤلف في أسفل تلة بيرث ويرى خلفه قلب المدينة التجاري

وقـــد انحدرنـــا من التلة في الساعة العاشرة إلى قلب المدينة التجاري فمـــررنا بجسر قصير، نوه بوجوده الأخ إسماعيل، وقال: لدينا منه في مدينة بيرث ثلاثة وفيها نفق واحد فقلت له: إن مدننا الصغيرة مثل الطائف بها من الجسور والأنفاق أكثر مما في مدينتكم الكبيرة هذه.

أمـــا مكـــة المكرمة فإنها تعتبر بحق مدينة الأنفاق العالمية، إذ لا توجد مدينة أخرى في العالم الذي نعرفه أكثر منها أنفاقاً.

ثـم دخلـنا وسـط المدينة التجاري ذا الأبنية العالية التي ذكرتها، وقد ازدحمـت شـوارعها بالسـيارات، كما أراني أعلى مبنى في المدينة واسمه سـنترال بيرث، لكونه في وسط المدينة، ومررنا بالمحكمة العليا تتقدم مبناها حديقة سامقة الأشجار.

وقـد ازدحـم هـذا الجـزء مـن المدينة بالناس من المشاة وأصحاب الحوانيـت، ويلاحـظ المـرء من مناظرهم أن نساءهم وهن في الأصل من الأوربـيات البيض قد أصبحن من ذوات اللون الخمري، لأن الشمس والجو الحـار قـد أثـر فيهن وإن كانت صفرة الشعر لا تزال موجودة، وقد تخفف أكثرهـن من اللباس بحجة الصيف، وما هن بحاجة إلى التماس حجة لهن في العري في هذه البلاد.

مدرسة الهداية:

فصل دراسي للصغار في مدرسة الهداية في بيرث

لم نقف في وسط المدينة وإنما أسرعنا الذهاب إلى مدرسة الهداية، وذلك لضـيق الوقـت الـذي بقي لنا في هذه المدينة فخرجنا من وسط المدينة إلى

ضـــواحيها، حيث الأرصفة المزروعة بالعشب أو أنهم تركوا العشب الذي نما فيها على حاله ولم يقلعوه، وحيث البيوت من طابق واحد.

ورأيـــنا اســـم (مدرسة الهداية) مكتوباً عليها بالعربية، وهذا أمر مميز، وتقع في حي (بنتلي).

دخلـــنا المدرسة مع فناء جيد متوسط السعة، تتوسطه شجرة من أشجار الزهور وهي التي تكون أوراقها كالزهور.

ورأيـــنا فيه أطفال فصل دراسي من البنات الصغيرات معهن مدرستهن وهن عـــند صنبور المياه يغسلن الكراسي وأشياء ينظفنها قالوا: من أجل أن يتعودن على كيفية تنظيف الأشياء في المنزل وهن ينظفن الكراسي بالماء.

ثـــم جلســـنا جلســـة قصيرة مع مدير المدرسة الأخ (محمد عمر) وهو إنكليزي أسلم حديثاً وكان اسمه قبل إسلامه (هارولد بوكستن) وهو ممن يرى المرء نور الإيمان والسكينة على وجوههم.

ذكـــروا أن عـــدد التلاميذ في المدرسة ما بين بنين وبنات ١٣٢، وأنها مدرســـة ابتدائية، أسست في عام ١٩٩٤م، ويدفع بعض أولياء الأمور رسوماً للمدرسة، والذي لا يستطيع تدفع عنه الحكومة، كذا قالوا، وعلمت أن الحكومة تدفع إعانات للمدارس التي تعترف بها، وهي التي تطبق المنهج الحكومي إلى جانـــب الموضـــوعات الإســـلامية بعدد ما فيها من الطلاب، سواء كانوا أغنياء، أم فقـــراء، ولكن القادرين من أولياء الأمور يدفعون لها أيضاً، وأن المبلغ الذي تدفعه الحكومـــة عن كل طالب ثلاثة آلاف دولار في السنة، ولا تعطي إعانة على رواتب المدرسين، لأنها مدرسة خاصة.

ذكروا أنها تطبق المنهج الحكومي ويؤلف ٧٠% ومنهجاً إسلامياً نسبته إلى المنهج ٣٠% ، وإنهم كانوا يتمنون أن حصة المنهج الإسلامي أكثر، إلا أن الحكومة ألزمتهم بهذه النسبة.

كمـــا ذكروا أن مبنى المدرسة هو حكومي كان مقراً لمدرسة حكومية، وأغلقـتها الحكومة لنقص التلاميذ، واستأجروها منها بـــ ١١ ألف دولار في الســنة أي بـــــ ٢٧ ألف وخمسمائة ريال وهو رخيص جداً بالنسبة إلى سعة المدرســـة، وتعـــدد الفصول فيها، وربما كان فيها أثاث من قبل، سمحت لهم باستعماله كما هي العادة.

ووجدنـــا في غرفة الإدارة أخاً قديم الإسلام اسمه محمد هارون قدم إلى هذه البلاد من جمهورية جنوب إفريقية، ويبدو الأخ محمد هارون كأنه عربي الأصل من حضرموت.

في فناء مدرسة الهداية في بيرث على يساري مدير المدرسة

ودخلـــنا فصلاً فيه بنات أكثرهن من الملونات أي من غير البيضاوات، ذكر أن جلهن من أبناء اللاجئين المسلمين الذين قبلت الحكومة قدومهم إلى أستراليا.

إلى المطارين:

فـــي مديـــنة بيرث مطاران منفصلان أحدهما دولي، والآخر للرحلات الداخلية، والرحلات الداخلية مهمة في أستراليا مثل أهميتها في بلادنا أو أكثر

لسعة البلاد، بحيث لا يسهل على المقيم فيها أن يسافر بسيارته من شرقها إلى غربها أو من شمالها إلى جنوبها لطول المسافة، إلا إذا كان يملك وقتاً كثيراً، ورغبة أكثر في السفر والانتقال المتواصل.

وكنت أظن أننا ذاهبون للمطار الداخلي، لكون رحلتنا داخلية، إذْ سنسافر إلى مدينة (أليس اسبرنغ) الواقعة في وسط أستراليا، وإن كانت تابعة لولاية شمال أستراليا التي عاصمتها داروين، غير إن الإخوة ذهبوا بنا إلى المطار الدولي من أجل أن يرونا حيوان الكنغرو محبوساً في قفص في مكان عند مدخل المطار.

وقد جعلوه هكذا إمعاناً منهم في إظهار هذا الحيوان الذي لا يوجد إلا في قارتهم وحشياً عائشاً، حتى يراه القادمون من هذا المطار الدولي والراحلون منه.

ويقع المطار في منطقة ذات أعشاب منسقة إلا أنها رمادية قد مسها الجفاف، وربما كان ذلك لبعد عهدها بالمطر بعداً نسبياً، وفيها أشجار خضر غير عالية، ويسمونه (مطار بيرث) هكذا بدون أن يكون له اسم خاص به.

ومن الغريب أن الدخول إلى المطار لابد من أن يكون من بوابات عليها جباية ضرائب للوقوف فيه، يأخذ قائد السيارة ورقة بنفسه عند دخوله حيث تخرج بصفة آلية حتى إذا أراد الخروج من بوابات مجاورة لبوابات الدخول وجد موظفين لابد من أن يتقاضوا منه الرسم المقرر.

وقفنا عند مكان (الكنغرو) وهو واحد محجوز بحاجز من الأسلاك الحديدية، وهو حيوان معتاد، فليس بالصغير مثلاً ولا بالمميز عن غيره من (الكغنراوات) أو الكناقري- إن صح جمعه بهذه الصيغة.

وفكرت فيما لو أننا عملنا مثلهم في حيواننا المميز في بلادنا وهي الإبل التي هي غريبة المنظر والطباع بالنسبة إلى غير سكان الصحراء، وقد صارت غريبة حتى على أطفالنا الذين بعد عهد أبائهم برؤيتها، وهي التي يعيرنا الأوروبيون وأشباههم بأننا حتى الآن لا نحسن غير ركوبها والسكن في بيوت الشعر.

ضاحية في مدينة بيرث

فلو ارتبطنا خلفة وهي الناقة التي ولدت، ومعها حوارها وهو ولدها في مكـــان بارز من مطار الرياض- على سبيل المثال والتجربة، وأتحنا رؤيتها للناس من دون رسم، وإن لم يسمح لهم أن يدخلوا المكان الذي تكون فيه، فإن هذا أمر مفيد مريح حتى لبني قومنا.

وقـــد وردت فـــي الإبل آية قرآنية كريمة تحث على النظر إليها نظر اعتبار، قـــال الله تعالى: **﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾**.. ولم تنزل آية في النظر إلى (الكـــنغرو) مثلاً، إضافة إلى أن الكنغرو له شبيه من حيوان الصحراء العربية، وإن كان أصغر منه عشرات المرات وهو اليربوع كما نعرف ذلك.

وامـــتد بي التفكير أيضاً إلى التمر هذه الثمرة العظيمة معنى ومبنى أو شـــكلاً وموضوعاً، فالنخلة تثمر في السنة مقداراً ضخماً من التمر، والتمر له فوائـــد صـــحية وغذائية كانت معروفة عند المتقدمين، ولكن المتأخرين قد اكتشفوا فـــيها فوائـــد أخـــرى لـــم يعرفها المتقدمون، وذلك يقتضي منا أن نغرس قريباً من مكاتـــب المطارات نخلاً منوعاً فيه ما يتأخر نضجه كالخصابة، إلى جانب ما يثمر فـــي أول الوقـــت، نضع بجانبه معرضاً للتمر يراه الناس إذا كان الوقت ليس بوقت

تمر، فذلك فيه الامتثال لأمر الله تعالى بالتحدث بنعمته على خلقه بقوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

ومـــا نعـــرف في شجر العالم كله شجرة يمكن أن تكون ثمرتها وحدها غذاء للآدمي يستطيع أن يعيش عليه دون غيره سوى النخلة.

ثم غادرنا المطار الدولي إلى المطار الداخلي مسرعين خوفاً من فوات الطائرة وغادرناه بعد ذلك متوجهين إلى مدينة (أليس اسبرنغ) الصحراوية في وسط استراليا.

والحديـــث عـــنها مـــثلما كان عن مدينة داروين قبلها في كتاب (شمال أستراليا) ولله الحمد.

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٣
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٠
المقدمة ١٣
لمحة عن أستراليا ١٥
تاريخ دخول المسلمين إلى أستراليا ١٥
عدد المسلمين في أستراليا حالياً ١٩
التنظيم الإسلامي في أستراليا ٢٠
التنظيم الإسلامي في غرب أستراليا ٢١
أنشطة المجلس الإسلامي لغرب أستراليا ٢٧
أحوال المسلمين الاجتماعية ٣٠
موقف الحكومة الأسترالية من المسلمين ٣١
التيارات المعادية للإسلام ٣١
الختام ٣٢
المشاهدات ٣٣
من داروين إلى بروم ٣٥
من داروين إلى كونونورا ٣٥
مطار كونونورا ٣٧
من كونونورا إلى بروم ٣٨
مطار بروم ٣٩
مدينة بروم ٤٠
لا جمعة ولا جماعة ٤٢
صباح بروم ٤٢
جولة فيما حول مدينة بروم ٤٣
أعلى نقطة ٤٤
أول إنكليزي وصل أستراليا ٤٤

مدخل القارة ٤٥
الغوص على اللؤلؤ ٤٦
في قلب المدينة ٤٧
بدايات المدينة ٤٨
الكنيسة الصغيرة ٤٩
المكتبة العامة ٥٠
خليج كروباك ٥١
بيت الأصداف ٥٢
فيها كليتان ٥٤
المقبرتان ٥٤
اللؤلؤ في كل مناسبة ٥٥
ميناء بروم ٥٦
أنحن في الصحراء العربية؟ ٥٧
شاطئ الكابتن ليداوو ٥٨
الوباء الذبابي ٥٩
الميكلاصور ٦١
العودة إلى المدينة ٦٣
المسلمون في بروم ٦٤
أرض المسجد ٦٨
تأخر الطيارة ٦٩
من بروم إلى بيرث ٧٠
في مطار بيرث ٧١
مع زعماء المسلمين ٧٢
المجلس الإسلامي لغرب أستراليا ٧٣
حي وادي النهر ٧٤
مسجد السليمانية ٧٥
المدرسة الإسلامية ٨٠

كيف أنشئت المدرسة ٨١
جولة في الكلية الإسلامية ٨٣
مسجد المدرسة ٨٥
الصوماليون بين فنلندا وأستراليا ٨٥
مجموعة المطاعم ٨٧
أول مسجد في بيرث ٨٨
مسجد ماري ٩٣
مسجد التقوى ٩٥
مدرسة للبيع ٩٦
إلى مدينة روكنهام ٩٧
مسجد روكنهام ٩٨
المسلمون في روكنهام ١٠١
يثنون على الحكومة ١٠٢
مغادرة روكنهام ١٠٣
إلى بلدة كاتنغ ١٠٥
التعايش مع الذبان ١٠٥
وقفة في كلام أسكوت ١٠٧
بلدة أرماديل ١٠٨
منطقة بنستر ١١١
منطقة وليامز ١١٣
الدخان الغالي ١١٤
مواصلة السير ١١٦
منطقة آرثر ريفر ١١٦
قبيل الوصول إلى كاتنغ ١١٧
هذه كاتنغ ١١٨
مسجد كاتنغ ١١٨
جلسة في المسجد ١٢١

وصول المسلمين إلى كاتنغ ١٢٢
بناء المسجد ١٢٤
المسلمون في كاتنغ ١٢٦
معنى كاتنغ ١٢٧
بلدة كوزن اب ١٢٩
نهر بلاك وود ١٣١
مزيد من مزارع تربية الأبقار ١٣٣
بلدة دوني بروك ١٣٣
وقفة في سوق للفاكهة والخضروات ١٣٤
أنواع الفلفل البارد ١٣٥
التمر أغلى المعروضات ١٣٦
مدينة بامبوري ١٣٧
مطعم المسلمين ١٣٨
على شاطئ البحر ١٣٩
بلدة وانوفا ١٤١
حديقة حيوان صغيرة ١٤١
صلاة في ليك كلفتن ١٤٣
الذباب والبعوض ١٤٤
العودة إلى بيرث ١٤٥
تل بيرث ١٤٧
مدرسة الهداية ١٥١
إلى المطارين ١٥٣
الفهرس ١٥٧

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

Dar Altholothia

9789960460758 SR 20.00

ردمك : ٨-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨